علامات النبوة

تأليف

عبد الملك على الكليب





علامات النبوة

عبد الملك على الكليب



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله [1] .

أما بعد فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بعد ستمائة سنة من رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وكانت فترة طويلة تحرفت فيها الأديان وكثرت عبادة الأوثان وظهر الفساد فى البر والبحر وانتشر الطغيان والظلم والجهل فى البادية والحضر إلا قليلا من أحبار اليهود والنصارى والصابئين[2]، فبعثه الله تبارك وتعالى للخلق كافة إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم وأصفرهم رحمة مهداة من لدنه سبحانه بين يدى الساعة وهادياً إلى الله بإذنه ومبشراً ونذيرا ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ

(١) هذه الخطبة تعرف بخطبة الحاجة وقد صح أن النبى ﷺ كان يقولها ويعلمها أصحابه ليقولوها بين يدى كلامهم وخطبهم ، يستعينون بها على قضاء حاجتهم . وكان علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة يحرصون فى بداية خطبهم عليها وكان ابن تيمية رحمه الله أكثرهم حرصاً على الاتيان بها بين يدى رسائله وكتبه وذلك مما يدل على حرصه رحمه الله تعالى على اتباع السنة وإحيائها . قال ابن تيمية عن هذه المقدمة الطيبة ما نصه :
ولهذا استحبت وفعلت فى مخاطبة الناس بالعلم عموماً وخصوصاً من تعليم الكتاب والسنة والفقه فى ذلك وموعظة الناس ومجادلتهم أن تفتح بهذه الخطبة الشرعية النبوية ، وكان الذى عليه شيوخ زماننا الذين أدركناهم وأخذنا عنهم وغيرهم يفتتحون مجلس التفسير أو الفقه فى الجوامع والمدارس وغيرها بخطبة أخرى مثل « الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ورضى الله عنا وعنكم وعن مشايخنا وعن جميع المسلمين » أو « وعن السادة الحاضرين وجميع المسلمين » كما رأيت قوما يخطبون للنكاح بغير الخطبة المشروعة ، وكل قوم لهم نوع غير نوع الآخرين فإن حديث ابن مسعود لم يخص النكاح وإنما هى خطبه لكل حاجة فى مخاطبة العباد بعضهم بعضا والنكاح من جملة ذلك وإن مراعاة السنن الشرعية فى الأقوال والأعمال فى جميع العبادات والعادات ، هو كمال الصراط المستقيم وما سوى ذلك وإن لم يكن منهياً عنه فإنه منقوص مرجوح إذ خير الهدى هدى محمد » . انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .
(٢) الصابئين : من تركوا دينهم ودانوا بدين آخر وهم قوم يعبدون الكواكب .

عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ (١) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ (٢) وأيده تبارك وتعالى بكتابه الكريم ، القرآن العظيم ، المثبت لرسالته والمؤكد لنبوته فبدأ بدعوة قومه قريش إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع (٣) ونهاهم عن الدماء والفواحش (٤) ووئد البنات وقول الزور وأكل مال الأيتام وأمرهم بالصلاة والزكاة (٥) والصيام والصدق والعفاف وصلة الأرحام فاستكبر قومه وكذبوه غضباً لآلهتهم (٦) ونصبوا له العداوة وانطلقوا يرمونه بشتى التهم ويصفونه بالمجنون وبالساحر وبالكذاب وبالكاهن وبالشاعر فما صدت تلك التهم الناس عن متابعته ولم تثنهم عن الإيمان برسالته والتصديق بنبوته ودخل الناس فى الدين الجديد أرسالاً فلما رأت قريش ذلك ناكرت (٧) محمداً ﷺ أشد

(١) سورة الفرقان آية (١) . قوله ﴿ تبارك الذى .. ﴾ أى تعالى وتمجد أو تكاثر خيره .. ، ﴿ نزل الفرقان ﴾ أى نزل القرآن الفاصل بين الحق والباطل .

(٢) سورة سبأ آية (٢٨) . قوله ﴿ كافة للناس ﴾ أى إلى الناس جميعاً .

(٣) وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم فى مواضع عدة منها ما حكاه القرآن على لسان ابراهيم عليه السلام قائلاً ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً ءالهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين ﴾ سورة الأنعام آية ٧٤ . وقال تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ﴾ سورة الشعراء آية ٦٩ : ٧٣ .

(٤) فقد نهى القرآن الكريم عن قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق وعن الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال تعالى فى سورة الأنعام (١٥١) ﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ وقال تعالى ﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ .

(٥) أمر الله تبارك وتعالى عباده بالصلاة لأنها رأس كل خير ومفتاح كل بر ومغلاق كل شر وكذلك أمر بالزكاة لأنها مطهرة للنفس ومرضاة للرب تبارك وتعالى . فقال ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ سورة النساء آية (٧٧) .

(٦) فعندما دعاهم محمد ﷺ إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده وقال لهم كلمة واحدة تدين لكم العرب قولوا لا إله إلا الله تفلحوا فاستكبروا وكذبوه وحاربوه غضبا لآلهتهم قال تعالى ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشىء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على ءالهتكم إن هذا لشىء يراد ﴾ سورة ص آية ٤ : ٦ .

(٧) ناكرت : أى عادته وخادعته يقال تنكر له القوم : أى أخذوا يسيئون إليه بكل الطرق بعد أن كانوا يحسنون إليه .

مناكرة وأجمعت على خلافه وعداوته وعداوة من اتبعه فكان المؤمن يفتن في دينه إما قتلوه وإما عذبوه ، وتربصوا بالنبي ﷺ يريدون قتله فصرفهم الله عنه وعصمه منهم ، ثم هاجر بأصحابه رضوان الله عليهم إلى المدينة فقدمها بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة المحروبة في مكة حيث عتت قريش[1] على الله تبارك وتعالى وردوا عليه ما أرادهم من الكرامة وكذبوا نبيه ﷺ واستكبروا عن متابعته وعذبوا من آمن بالله تعالى وحده وكفر بآلهتهم وسفه أحلامهم [2] .

فلما اطمأن النبي ﷺ بالمدينة واجتمع إليه المهاجرون من مكة ومن غيرها من بلاد العرب استحكم شأن الإسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة وقامت الحدود ، ثم أذن الله تبارك وتعالى للنبي ﷺ بالقتال والإنتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فتهيأ النبي ﷺ لحربه وقام فيما أمره الله من جهاد عدوه وقتال من أمره الله بقتاله ممن يليه من المشركين فكان من أمر البطشة الكبرى ببدر [3] ما كان وظلت الحرب بين رسول الله ﷺ وبين المشركين سجالاً ينال منهم وينالون منه حتى غلبهم أمره و قهرهم وظهر عليهم وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وصدق الله وعده حيث يقول ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [4] وقوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ [5] فدخل النبي ﷺ مكة فاتحاً ظاهراً

(١) عتت قريش : أي تجبرت وطغت واستكبرت وعاندت قال تعالى ﴿ .. بل لجوا في عتو ونفور ﴾ سورة الملك آية (٢١) .

(٢) سفه أحلامهم : أي استخف بعقولهم وشنع بتفكيرهم .

(٣) وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة .

(٤) سورة التوبة آية (٣٣) قوله ﴿ ليظهره ﴾ أي ليعليه .

(٥) سورة السجدة آية ٢٨ – ٣٠ . قوله ﴿ هذا الفتح ﴾ أي زعمكم بالانتصار علينا أو الفصل للخصومة بيننا وقوله تعالى ﴿ ينظرون ﴾ أي يمهلون ليؤمنوا .

منصوراً بعد ثمان سنوات من خروجه منها فحطم الأصنام التى كانت تملأ المسجد الحرام وطهره من الرجس والأوثان وجعل سجدة الناس لله الواحد القهار ودانت له قريش وخضعت له العرب واستيقنت صدقه لما لم يصبه ما أصاب إبرهة وجنده من العذاب المعلوم [1] فأسلم الناس ودخلوا فى دين الله أفواجا ولم ينتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أقام العرب على الحنيفية السمحاء [2] والمحجة البيضاء فصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيرا .

وقد أيد الله تبارك وتعالى نبيه بمعجزات كثيرة وفى مقدمتها كلامه تبارك وتعالى ألا وهو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو أشهر معجزات النبى ﷺ ومن وجوه إعجازه حسن تأليفه وظهور بلاغته واستحالة مجاراته وجدة أسلوبه واختلافه عن قواعد النظم والنثر المعروفة آنذاك هذا إلى جانب ما يلحق تاليه [3] من الخشية وما يعترى سامعه من الهيبة وكونه لايكل [4] قارئه ولا يمل سامعه وهذا فيما سواه من الكلام معدوم ، هذا مع سهولة حفظه ويسر تلاوته ، ومن وجوه إعجازه أيضاً ما اشتمل عليه من أخبار الحوادث الماضية التى لم يكن يعلم تفصيلها سوى أفراد قلائل من أهل الكتاب ، ولم يعلم مماثبت من سيرته ﷺ أنه اجتمع بأحد منهم أو أخذ عنهم ، هذا إلى جانب إخباره بما سيقع فوقع على وفق ما أخبر به فى زمنه ﷺ وبعده مثل استحالة مجاراة القرآن ولو

---

(١) يشير المصنف إلى حادثة ابرهة حاكم اليمن عندما أراد غزو الكعبة فى عام مولد رسول الله ﷺ سنة ٥٧١ ميلادية تقريباً . فأرسل الله عز وجل عليه حجارة من السماء وأهلكه وجنوده عن اخرهم قال تعالى ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ سورة الفيل .

(٢) الحنيفية السمحاء : أى ملة الاسلام وديانة التوحيد لله تبارك وتعالى .

(٣) تاليه : أى قارئه .

(٤) يكل : أى يتعب ويفتر .

بسورة (١) وغلب الروم (٢) وهزيمة المشركين فى بدر ودخول المسجد الحرام(٣) واستخلاف المؤمنين (٤) وعلو كلمة الإسلام وأهله ، هذا إلى مافيه من الأمور العلمية التى لم يحط بها أحد إلا فى السنوات القليلة الماضية من الإشارة إلى الجاذبية والكلام عن انخفاض الضغط الجوى بازدياد الإرتفاع عن سطح الأرض والتصريح بكون الرياح لواقح وغير ذلك من الآيات التى تبرز صدق هذا الكتاب المقدس وتجزم بشكل تام أنه موحى من عند الله عز وجل ، وعلى الرغم من نزول القرآن قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة فإن أحداً لم يتمكن من إثبات أية أخطاء علمية فيه ولو أنه كان كلاماً بشرياً لكان هذا ضرباً من المستحيل (٥) خاصة وأن أفكار الناس فى زمنه ﷺ عن الكون وأمور العلم الأخرى ستبدو لغواً باطلاً ساذجاً لو درسناه فى ضوء معلومات العصر الحاضر .

وأما ما عدا القرآن من إنشقاق القمر وهطول المطر ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ وتكثير الطعام ونطق الجماد كتسبيح الطعام وهو يؤكل وحنين جذع النخلة وانقياد الشجر والإخبار بمصارع المشركين ليلة بدر قبل

---

(١) فقد تحدى القرآن الكريم الكفار بأن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن الكريم قال تعالى ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ سورة البقرة آية ٢٣ وقال تعالى ﴿ قل فأتوا بسورة مثله وادعو من استطعتم من دون الله ﴾ سورة يونس آية ٣٨ .

(٢) فقد أخبر القرآن الكريم بهزيمة الروم قبل وقوعها فقال تعالى ﴿ ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ سورة الروم آية ١ : ٣

(٣) فقد بشر الله سبحانه وتعالى رسوله والمسلمين بفتح مكه ودخول المسجد الحرام آمنين قال تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين محلقين رؤسكم مقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً ﴾ سورة الفتح آية (٢٧) .

(٤) فقد وعد الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بالاستخلاف فى الأرض والتمكين فيها . قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. ﴾ سورة النور آية (٥٥) .

(٥) قال تعالى ﴿ .. ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ سورة النساء آية (٨٢) .

مصرعهم ونعى أمراء مؤته [١] قبل أن يأتى الخبر بمقتلهم والإخبار عن شهادة عمر وعثمان وعلى وإنفاق كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله وعن إصلاح الحسن بين الفئتين [٢] وعن مقتل الحسين وعن فتح القسطنطينية قبل رومية وعن وفاته ﷺ في مرضه الأخير وإخباره فاطمة عليها السلام أنها أول من تلحق به من أهله ، كل هذه المعجزات قد رواها العدد الكثير وأفادت القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار وذكر النووى [٣] فى مقدمة شرح مسلم [٤] أن معجزات النبى ﷺ تزيد على ألف ومائتين وقال البيهقى فى المدخل : بلغت ألفاً .

ولا أقول أنى قد أحطت فى هذه الرسالة بجميع علامات نبوته ﷺ فهى أكبر من أن تحيط بها هذه الرسالة القصيرة ولكننى قد أظن أنى جمعت فيها من النقول الصريحة والأحاديث الصحيحة ما يكفى الملحد غير المعاند ليرجع عن إلحاده بإذن الله، وأهل الكتاب ليستيقنوا أن الله تبارك وتعالى قد أرسل بعد موسى وعيسى عليهما السلام رسولاً نبياً اسمه محمد ﷺ جاء بدين الإسلام وأنه لاحظ لهم فى الجنة ولا نصيب لهم من ولاية موسى وعيسى عليهما السلام إلا باتباعهم دين الإسلام[٥] وترك ما هم

---

(١) مؤته : قرية على مشارف الشام وهى التى تسمى اليوم الكرك وقد كانت هذه الغزوة فى شهر جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة واستشهد فيها زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحه وغيرهم من رجال المسلمين . انظر فقه السيرة للبوطى (٢٧١) .

(٢) يشير إلى الصراع الذى حدث بين معاوية بن أبى سفيان وعلى بن أبى طالب بعد مقتل عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

(٣) الإمام النووى : هو الشيخ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووى ولد فى نوا من قرى حوران تعلم فى دمشق كان محرراً للمذهب ذا التصانيف المشهورة المباركة والمفيدة وكان ورعاً لم يتزوج ولى دار الحديث بالاشرافيه بدمشق له المجموع شرح المهذب ، تهذيب الاسماء واللغات ، منهاج الطالبين وشرح مسلم وغير ذلك انظر الشذرات ٣٥٤/٥ .

(٤) الإمام مسلم : هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ثقه حافظ إمام مصنف عالم الفقه صاحب الصحيح . توفى سنة ٢٦١ . انظر تقريب التهذيب ٢٤٥/٢ .

(٥) قال تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

عليه من جرأتهم على الله عز وجل أو ادعائهم له الولد ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ليحيا من حيا عن بينة ويهلك من هلك عن بينة قال تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [1] وقال عز وجل ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [2] والله أسأل أن يهدى بهذه الرسالة خلقاً كثيراً من عباده وأن يكثر بها ثوابى وأن يجعلها من الأعمال التى لا ينقطع عنى نفعها وخيرها بعد أن أدرج فى أثوابى ، وأنا سائل أخا انتفع بشىء منها أن يدعو لى ولوالدى وللمسلمين أجمعين ، وعلى الله الكريم اعتمادى وإليه تفويضى واستنادى وحسبى الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

عبد الملك علي الكليب

* * * * *

* * *

* *

*

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩) .

(٢) سورة آل عمران آية (٨٥) . ﴿ الاسلام ﴾ أى التوحيد والاقرار به مع التصديق والعمل بشريعته تعالى وهى شريعة نبينا ﷺ .

تبشير الأمم السابقة ببعثة النبي ﷺ

ذكر ابن اسحاق أن الكهان من العرب والأحبار [١] من اليهود والرهبان من النصارى كانوا قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمان بعثته ، أما الأحبار والرهبان [٢] فعما وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه فمنهم من سماه باسمه ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من أضافه إلى بلده ومنهم من خصه بأفعاله قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣] وأما الكهان فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم وكان الكاهن [٤] والكاهنة لا يزال يقع منها ذكر بعض أموره لا تلقى العرب لذلك فيه بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها.

ـ ١ ـ

إخبار الكهان

روى البخارى [٥] فى الصحيح [٦] عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

---

(١) الأحبار : أى علماء الدين مفردها حبر .

(٢) الرهبان : المتعبدون من النصارى فى صومعة يختلون فيها عن أشغال الدنيا وملاذها (مفردها) راهب .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٦ .

(٤) الكاهن : من يتنبأ بالغيب وكانوا مشهورين قبل ظهور الاسلام .

(٥) البخارى : هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفى أبو عبد الله امام الدنيا جبل الحفظ ثقه الحديث من الطبقة الحادية عشرة . توفى سنة ٢٥٦ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٤٧/٩ .

(٦) نقلت أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله عن طريق الأحاديث المسندة ، وهى التى يتصل اسنادها بنقل العدل الثقة الثبت عن مثله حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ ولا يكون شاذاً ولا معللاً بعلة قادحة .
ومثال ذلك الحديث الذى رواه مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله » . الموطأ ص٣٣ .

قال : ما سمعت عمر لشيء قط يقول أنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن ، بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال : لقد أخطأ ظنى ، أو إن هذا على دينه فى الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، على الرجل ، فدعى له فقال له ذلك فقال : ما رأيت كاليوم اسقبل به رجل مسلم ، قال : فإنى أعزم عليك إلاما أخبرتنى قال : كنت كاهنهم فى الجاهلية ، قال : فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟ قال :بينما أنا يوما فى السوق جاءتنى أعرف فيها الفزع فقالت : ألم تر الجن وإبلاسها[1] ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص [2] وأحلاسها [3] ؟ قال عمر : صدق ، بينما أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ [4] لم أسمع صارخاً أشد منه يقول : يا جليح [5] أمر نجيح ، رجل فصيح يقول : لا إله إلا أنت فوثب القوم ، قلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى : ياجليح ، أمر نجيح رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله ، فقمت فما نشبنا [6] أن قيل : هذا نبى[7] .

ـ ٢ ـ

إخبار اليهود

وكانوا باقتراب بعثته ﷺ عالمين وبنبوته مؤمنين فقد جاء فى التوراة صفته ونعته فمن ذلك ما جاء فيها عن موسى عليه السلام : (قال لى

---

(١) المراد به اليأس بعد الرجاء .

(٢) القلاص من الإبل : الفتية .

(٣) الإحلاس جمع حلس وهو كساء رقيق يوضع على ظهر الجمل تحت الرحل .

(٤) أى من جوف العجل كما فى رواية أخرى عند ابن اسحاق .

(٥) ومعناه الوقح ويحتمل أن يكون نادى رجلاً بعينه .

(٦) أى لم نتعلق بشئ من الأشياء حتى سمعنا أن النبىﷺ قد بعث إليه ، يريد أن ذلك كان قرب مبعث النبى ﷺ .

(٧) انظر فتح البارى ١٧٨/٨ .

الرب . قد أحسنوا فيما تكلموا ، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به بأسمي أنا أطالبه)[١] وفى النسخ القديمة : فأنا أنتقم منه .

ومن المعلوم لكل أحد أنه لم يقم فى بنى إسرائيل بعد موسى نبى مثله والدليل على ذلك من التوراة نفسها (**ولم يقم بعد نبى فى بنى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه)**[٢] .

ومن المعلوم أيضاً أن إخوة بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل وليس منهم من ظهر كلام الله تبارك وتعالى على فمه غير محمد ﷺ فهو الذى تكلم بكلام الله عز وجل وهو القرآن الكريم ، وهو الذى انتقم الله ممن عصاه وخالف أمره وقد علم كل أحد ما حل باليهود فى عهده ﷺ جزاء وفاقا على كفرهم بما أرسل به .

وقد ثبت فى إنجيل يوحنا (يحيى عليه السلام) أن اليهود كانوا ينتظرون النبى ﷺ وأنه يأتى بعد المسيح عليه السلام ، ففى هذا الإنجيل (**وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت فاعترف ولم ينكر وأقر : انى لست أنا المسيح ، فسألوه إذا ماذا ؟ ايليا أنت ؟ فقال لست أنا ، النبى أنت ؟ فأجاب : لا فقالوا له : من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ، ماذا تقول عن نفسك ؟ قال : أنا صوت صارخ فى البرية)**[٣] .

ففى هذا النص دليل قوى على أن اليهود كانوا ينتظرون إيليا والمسيح ونبى يأتى بعد المسيح . فمن هو هذا (النبى) الذى جاء لفظه فى الإنجيل

---

(١) الكتاب المقدس : سفر التثنية ، الإصحاح الثامن عشر .
(٢) الكتاب المقدس : سفر التثنية : الإصحاح الرابع والثلاثون .
(٣) إنجيل يوحنا : الإصحاح الأول .

مثل لفظه فى التوراة مثل لفظه فى القرآن إلا أن يكون محمداً ﷺ .

﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمي الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

تبشير اليهود ببعثته ﷺ

وكانت اليهود تحدث العرب ببعثته ﷺ فقد روى أحمد (٢) فى مسنده عن سلمة بن سلامة بن وقش رضى الله عنه وكان من أصحاب بدر قال : كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبى ﷺ بيسير فوقف على مجلس عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على بردة مضطجعا فيها بفناء أهلى فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت فقالوا له : ويحك يا فلان ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم والذى يحلف به لو أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النار غدا ، قالوا له : ويحك وما آية ذلك ؟ قال : نبى يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا ومتى تراه ، قال : فنظر

---

(١) سورة الأعراف آية (١٥٧) قوله تعالى ﴿ إصرهم ﴾ أى عهدهم بالعمل بما فى التوراة ﴿الأغلال﴾ أى التكاليف الشاقة فى التوراة ﴿ عزروه ﴾ أى وقروه وعظموه .

(٢) الإمام أحمد : هو الإمام المشهور أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة ولد سنة ١٦٤ هـ وتوفى سنة ٢٤١ هـ وإليه ينسب المذهب الحنبلى عذب عذاباً شديداً وثبت فى فتنة القول بخلق القرآن التى كان يقول بها المعتزلة فى فترة خلافة الخليفه العباسى المأمون بن هارون الرشيد ولكنه ثبت على الحق له مصنفات منها المسند والزهد .

إلى وأنا من أحدثهم سنا ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا فقلنا : ويلك يا فلان ألست بالذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى وليس به [1] . قال الهيثمى : رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع [2] وصححه ابن حبان.

وروى يعقوب بن سفيان عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يهودى قد سكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها النبى ﷺ قال : يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا لا نعلم قال : أنظروا فإنه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الأمة بين كتفيه علامة لا يرضع ليلتين لأن عفريتا من الجن قد وضع يده فى فمه ، فانصرفوا فسألوا فقيل لهم : قد ولد لعبد الله ابن عبد المطلب غلاما فذهب اليهودى معهم إلى أمه فأخرجته لهم فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه وقال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل، يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب . قال الحافظ بن حجر فى الفتح : إسناده حسن[3] .

وعن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال : والله إنى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمه[4] بيثرب : يا معشر يهود ، حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به . رواه ابن إسحاق[5] واسناده حسن .

---

(١) انظر المسند ٣ / ٤٦٧ .

(٢) انظر مجمع الزوائد للهيثمى ٨ / ٢٣٠ .

(٣) انظر الفتح ٧ / ٣٩٤ .

(٤) الأطمة : الحصن .

(٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٦٨ .

- ٣ -

إخبار النصارى

وكذلك كان النصارى يترقبون مبعثه ﷺ ، وقد أخبر الله عز وجل أن المسيح بن مريم عليه السلام قد بشر بنى اسرائيل ببعثته ﷺ وسماه لهم فى قوله تعالى ﴿ **وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ﴾ [١] .

وقد علم كل أحد ما طرأ على النصرانية من تحريف خرج بها من عداد الأديان السماوية التى جاءت بالتوحيد وجعلها فى مصاف الأديان الوثنية أديان الشرك والتضليل وخاصة بعد مجمع نيقية عام ٣٢٥م . حيث اضطهد العلماء القائلين بأن المسيح عليه السلام رسولا ككل الرسل ونفى بعضهم وقتل البعص الآخر ، وأتخذ القائلون بالتثليث وألوهية المسيح عليه السلام ـ وكانوا يقلون عن سدس المجتمعين ـ قراراً بذلك وفرض ذلك على النصارى جميعا وقرروا أيضا اختيار الأناجيل التى توافق القرار السابق وأمروا بحرق الأناجيل الأخرى فضلوا وأضلوا [٢] .

ولكن يشاء الله عز وجل أن ينجوا أحد هذه الأناجيل من أيدى الظلمة ويصل إلى أيدى المسلمين وهو ولله الحمد يزخر بالتوحيد وبالتبشير

---

(١) سورة الصف آية (٦) .

(٢) وقد اشتملت مجامع النصارى العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفا من الأساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون ثم هم ومن جاء بعدهم تائهون حاذرون بين لاعن وملعون لا يثبت لهم قدم ولا يتحصل لهم قول فى معرفة معبودهم بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه قال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ سورة المائدة آية (٧٧) . انظر هداية الحيارى (٢٧٣)

بالنبى ﷺ صراحة باسمه ، ألا وهو إنجيل برنابـا .

وقد حاول دعاة النصارى أن ينكروا نسبة هذا الإنجيل لبرنابا ـ الذى هو أحد حواريى المسيح عليه السلام ـ وأن يرموا به المسلمين وأن واحدا منهم هو الذى وضعه ولكنهم غفلوا عن أمور كثيرة منها أن البابا جلاسيوس الأول الذى جلس على أريكة البابوية سنة ٤٩٢ م أصـدر أمرا يعـدد فيـه أسمـاء الكتب المنهى عن مطالعتـها وفى عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابـا) فهذا قبل مبعث النبى ﷺ بتسع وسبعين سنة[١] .

ولقد لبث هذا الإنجيل فى مكتبة البابا التى كانت فى مأمن من التفتيش والمحاسبة قروناً طويلة ثم كتب لراهب لاتينى اسمه فرام رينو العثور على هذا الإنجيل فى مكتبة البابا سكتس الخامس فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى فلما طالعه اعتنق الإسلام على الفور[٢] .

ومما يدل على أن إنجيل برنابا كتب قبل عهـد النبى ﷺ بزمن طويل أنه يكفـر القـائلين بأن المسيح هو الله أو ابن الله ولم يتعرض للذين يقـولون أنه ثالث ثلاثة . ومن المعلوم أن القول الأخير لم يظهر إلا فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ م وكان عدد الحضور ٢٠٤٨ من الآباء الروحانيين وتبنى أغلبهم مذهب آريوس القائل بأن « الأب وحده الله ، والابن مخلوع مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الإبن » تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، فاختلف المجتمعون وتضاربوا فأصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير قراراً بفض المجمع ثم أعيد عقده بعد ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وكان عددهم ٣١٨ وحضر الإمبراطور نفسه هذا الإجتماع واتخذت فيه قرارات خطيرة وضعت الأساس للمسيحية التى لا تزال تتبعها الكنائس ومن أهمها القول بالتثليث وألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرا عن خطيئة

(١) وُلد رسـول الله ﷺ صبيحـة يـوم الأثنين الموافـق ٢٠ ابريـل سنة ٥٧١ م .

(٢) راجـع مقدمـة إنجيـل برنابـا

البشر واختيار الكتب التى يسمونها المقدسة زورا وبهتانا والتى لا تتعارض مع القرار السابق وتدمير ما عداها من الرسائل والأناجيل ، فلو كان هذا الإنجيل من وضع المسلمين لتطرق إلى تكفير المثلثه ولكنه كتب قبل ذلك المجمع بزمن طويل .

ومما غفل عنه متعصبةالنصارى أنه لو كان أحد المسلمين هو الذى وضعه بغرض مجادلة النصارى لورد ذكر هذا الإنجيل فى تلك المجالات التاريخية المشهورة بين المسلمين والنصارى ولكان أمضى سلاح للمسلمين فى مثل تلك المناظرات ، فلما لم يحتج بذلك أحد من المسلمين علم أنهم كانوا به جاهلين ومن تهمة وضعه بريئين .

ومن ذلك أنه لم يرد فى إنجيل برنابا ذكر كلام المسيح عليه السلام لبنى إسرائيل فى المهد ولم يرد كذلك اخباره بما يدخرون فى بيوتهم ولا المائدة التى أنزلت من السماء عليه وعلى الحواريين ولو أن مسلماً أراد أن يضع إنجيلا لوضعه مستعينا بالأصول التى ثبتت فى الكتاب والسنة ولسماه الإنجيل أو إنجيل عيسى .

وأول من عثر على النسخة الإيطالية لهذا الانجيل هو كريمر أحد مستشارى ملك بروسيا وكان مقيما وقتئذ فى أمستردام فأخذها سنة ١٧٠٩ من مكتبة أحد المشاهير المدينة المذكورة ثم أهداها كريمر بعد ذلك إلى البرنس ايوجين سافوى ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبةالبرنس إلى مكتبة البلاط الملكى فى ڤيينا حيث لا تزال هناك حتى الآن .

وقد جاء ذكر النبى ﷺ فى انجيل برنابا فى قرابة سبعا وأربعين موضعًا منها ما هو بصريح الإسم ، ومنها أنه « مسيا » رسول الله أمل بنى إسرائيل ومنها أنه رسول الله الذى يأتى بعد عيسى بن مريم عليه السلام .

فمن ذلك ما جاء فى الفصل السابع والتسعين من هذا الانجيل « ... فقال حينئذ الكاهن : ماذا يسمى وما هى العلامة التى تعلن مجيئه ؟ أجاب يسوع : إن اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها فى بهاء سماوى ، قال الله : (اصبر يا محمد لأنى لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجما غفيرا من الخلائق التى أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركا ومن يلعنك يكون ملعونا ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولى للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى أن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبدا) إن اسمه المبارك محمد ، حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم .

ومن ذلك ما جاء فى الفصل الثانى والأربعين منه : « ... فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليسقطوه بكلامه لذلك أرسلوا لاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : « الحق إنى لست مسيا » فقالوا : أأنت ايليا أو ارميا أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : « كلا » حينئذ قالوا : من أنت قل لنشهد للذين أرسلونا فقال حينئذ يسوع : « أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب كما هو مكتوب فى أشعيا » ، قالوا : إذا لم تكن المسيح ولا ايليا أو نبيا ما فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسيا؟ أجاب يسوع : « إن الآيات التى يفعلها الرب على يدىّ تظهر أنى أتكلم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه لأنى لست أهلا أن أكون رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا الذى خلق قبلى وسيأتى بعدى بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية » .

فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة » .

فهذا بعض ما ورد فى انجيل برنابا ، وقد جاء فى انجيل يوحنا قول عيسى

عليه السلام للحواريين « أنا ذاهب وسيأتيكم البار قليط[١] روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه إلا كما يقال له وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معى من قبل الناس وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به»[٢] وجاء فى انجيل يوحنا أيضا « أن البار قليط لا يجيئكم ما لم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا ولكن مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب » [٣] .

فهذه بشائر الانجيل التى وصلت إلينا وما لم يصل إلينا أصرح فى الصفة [٤] فمن هو الذى لا يتكلم من قبل نفسه غير محمد ﷺ ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾[٥] ومن الذى وبخ العالم على الخطيئة أنجع توبيخ غيره كما قال ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله** » متفق عليه . وكما قال رسول الله ﷺ : « **بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى** » رواه أحمد[٦] وصححه الألبانى[٧] .

---

(١) البار قليط بلغتهم : أى الذى له حمد كثير فتأمل توافق المعنى مع اسمه عليه الصلاة والسلام .
(٢) إنجيل يوحنا : الإصحاح الخامس عشر .
(٣) إنجيل يوحنا : الاصحاح السادس عشر .
(٤) أجزم أن أهل الكتاب كانوا يعرفون حتى اليوم الذى سوف يقبض فيه رسول الله ﷺ والدليل ما رواه البخارى فى الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال : كنت فى اليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كلاع وذا عمرو فجعلت أحدثهم عن رسول الله فقال له ذو عمرو : لئن كان الذى تذكر من أمر صاحبك - أى حقاً - لقد مر على أجله منذ ثلاث ، وأقبلا معى حتى إذا كنا فى بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة فسألناهم فقالوا قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر والناس صالحون . الفتح ٩ / ١٣٨ .
(٥) سورة النجم آية (٣ ، ٤)
(٦) المسند ٢ / ٥ .
(٧) صحيح الجامع الصغير ٣ / ٨ .

وكما كان اليهود يحدثون العرب عن اقتراب بعثته ﷺ ، كذلك كان النصارى يفعلون ، فقد روى أحمد فى مسنده عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى سلمان الفارسى حديثه من فيه قال : كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها : جى وكان أبى دهقان [١] قريته وكنت أحب خلق الله إليه فلم يزل به حبه إياى حتى حبسنى فى بيته أى ملازم النار كما تحبس الجارية وأجهدت فى المجوسية حتى كنت قطن[٢] النار الذى يوقدها لا يتركها تخبوا ساعة قال : وكانت لأبى ضيعة عظيمة قال : فشغل فى بنيان له يوما فقال لى : يابنى إنى قد شغلت ببنيان هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب فاطلعها وأمرنى فيها ببعض ما يريد فخرجت أريد ضيعته فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى إياى فى بيته فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون قال : فلما رأيتهم أعجبنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت : هذا والله أفضل من الدين الذى نحن عليه فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى ولم آتها فقلت لهم : أين أصل إلى هذا الدين؟ قالوا بالشام : ثم رجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله قال: فلما جئته قال : أى بنى أين كنت ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قال : قلت يا أبتى مررت بناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم حتى غربت الشمس قال : أى بنى ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه قال : قلت : لكن والله إنه خير من ديننا قال : فخافنى فجعل فى رجلى قيداً ثم حبسنى فى بيته قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى

---

(١) الدهقان : شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح الأرض .

(٢) قطن النار أى خادمها الذى يخدمها .

فأخبرونى بهم قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى قال : فأخبرونى بهم قال : فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنونى بهم قال : فلما أرادو ا الرجعة إلى بلادهم أخبرونى بهم فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين قالوا : الأسقف[1] فى الكنيسة قال : فجئته فقلت : إنى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك قال : فادخل ، فدخلت معه قال : فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق [2] قال : وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم : إن هذا كان رجل سو ء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها ، قالوا وما علمك بذلك ؟ قال : قلت : أنا أدلكم على كنزه قالوا فدلنا عليه قال : فأريتهم موضعه قال : فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ثم رجموه بالحجارة ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه بمكانه قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلاً لا يصلى الخمس [3] أرى أنه أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه قال : فأحببته حباً لم أحبه من قبله وأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له : يافلان إنى كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه من قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله فإلى من توصى بى وما تأمرنى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل وهو فلان

---

(١) الأسقف : عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم .

(٢) الورق : أى الفضة .

(٣) أى غير مسلم .

على ما كنت عليه فالحق به قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له : يا فلان إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك وأخبرنى أنك على أمره قال : فقال لى : أقم عندى فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له: يافلان إن فلانا أوصى بى إليك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى فإلى من توصى بى وما تأمرنى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فجئته فأخبرته بخبرى وما أمرنى به صاحبى قال : فأقم عندى فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له : يافلان إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان ثم أوصى بى فلان إليك فإلى من توصى بى وما تأمرنى ؟ قال : أى بنى والله ما نعلم أحداً بقى على أمرنا ولا آمرك أن تأتى إلا رجلا بعمورية فإنه بمثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته قال: فإنه على أمرنا قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبرى فقال : أقم عندى فأقمت مع رجل على هدى أصحابه وأمرهم قال : واكتسبت حتى كان لى بقرات وغنيمة قال : ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له : يافلان إنى كنت مع فلان فأوصى بى فلان إلى فلان وأوصى بى فلان إلى فلان ثم أوصى بى فلان إليك فإلى من توصى بى وما تأمرنى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكن قد أظلك زمان نبى هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين [1] بينهما نخل ، به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل قال : ثم مات وغيب فمكثت بعمورية ما شاء الله

(١) الحرة : كل أرض ذات حجارة سوداء .

أن أمكث ثم مر بى نفر من كلب تجاراً فقلت لهم : تحملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه ؟ قالوا : نعم فأعطيتهموها وحملونى حتى إذا قدموا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل من يهود عبداً فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق لى فى نفسى فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بنى قريظة فابتاعنى منه فاحتملنى إلى المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى فأقمت فيها ، وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنى لفى رأس عذق لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال فلان : قاتل الله بنى قيلة[1] والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبى قال: فلما سمعتها أخذتنى العرواء[2] حتى ظننت سأسقط على سيدى قال : ونزلت عن النخلة وجعلت فلكمنى لكمة شديدة ثم قال : مالك ولهذا أقبل على عملك قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبت عما قال . وقد كان عندى شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال : فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «**كلوا وأمسك يده فلم يأكل** » قال : فقلت فى نفسى : هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئت به فقلت : إنى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها قال : فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه قال : فقلت فى نفسى : هاتان

---

(١) بنى قيلة : هم الأوس والخزرج .

(٢) العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض .

اثنتان . ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد ، قال : وقد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان[1] له وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هلى أرى الخاتم[2] الذى وصف لى صاحبى فلما رآنى رسول الله ﷺ استدرته عرف أنى أستثبت فى شىء وصف لى قال : فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله ﷺ : « تحول » ، فتحولت فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا بن عباس قال : فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد ، قال : ثم قال لى رسول الله ﷺ « **كاتب يا سلمان** [3]» ، فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير[4] وبأربعين أوقية فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : «**أعينوا أخاكم** » فأعانونى بالنخل الرجل بثلاثين ودية[5] والرجل بعشرين والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر ، يعنى الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لى ثلاثمائة ودية فقال لى رسول الله ﷺ « **اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتنى أكون أنا أضعها بيدى** » ففقرت لها وأعاننى أصحابى حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معى إليها فجعلنا نقرب له الودى ويضعه رسول الله ﷺ بيده فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأديت النخل وبقى على المال فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازى فقال : « **ما فعل الفارسى المكاتب**» ؟ **قال فدعيت له فقال** : « **خذ هذه فأد بها ما عليك**

---

(١) الشملة : كساء غليظ يشتمل به الإنسان ، أى يلتحف به .

(٢) جاءت صفة خاتم النبوة فى أحاديث صحيحة رواها البخارى ومسلم وغيرهما وهى من دلائل نبوته ﷺ قال جابر بن سمرة رضى الله عنه فى آخر الحديث الذى وصف به رسول الله ﷺ .. ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده . رواه مسلم ٩٧/١٥ .

(٣) المكاتبة : يعنى أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً فإذا أداه صار حراً .

(٤) أى بالحفر والغرس .

(٥) الودية : واحدة الودى وهو النخل الصغير .

ياسلمان » فقلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما على ؟ قال : « خذها فإن الله عز وجل سيؤدى بها عنك » قال : فأخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد [١] قال الهيثمى: ورواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن اسحاق وقد صرح بالسماع [٢] وقال الألبانى: إسناده حسن [٣] .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبى ﷺ فى أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، قال : فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ فقال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبى وأنا أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو فى رعيه الإبل ،: قال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فىء [٤] الشجرة ، فلما جلس مال فىء الشجرة عليه فقال : انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا جئنا فإن هذا النبى خارج فى هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا

---

(١) المسند ٥ / ٤٤١ .

(٢) مجمع الزوائد ٩/٣٣٦ .

(٣) الأحاديث الصحيحة ٢/٥٩٢ .

(٤) فىء الشجرة : أى ظلها .

بعث إليه بأناس وأنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا. قال : فبايعوه وأقاموا معه ، قال أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت . رواه الترمذى [١] وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال الألبانى : إسناده صحيح كما قال الجزرى [٢] ، وذكر ابن اسحاق أن ذلك جرى مع راهب بصرى الذى يقال له بحيرى وكان علم أهل النصرانية .

خلق النبى ﷺ قبل الرسالة
واشتهاره بالصدق ومكارم الأخلاق

ذلك ما كان من أمر التبشير يبعثته ﷺ ، أما ما كان عليه النبى ﷺ من خلق فقد حفظ لنا التاريخ صحيفة بيضاء ناصعة لحياته ﷺ قبل إعلان النبوة وبعدها ومما حفظ أنه ﷺ اشتهر بالصدق والأمانة وأجمعت قريش على أنه يستحيل أن يكذب أو يغدر أو يخون الأمانة وكانوا يلقبونه بالصادق الأمين حتى أنه ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا كان يضعه عنده لما علم من صدقه وأمانته ، لذلك لم يكن صدقه ﷺ حين إعلان النبوة موضع شك أو بحث مطلقا لدى أهل مكة ، فأنهم كانوا على علم تام بحياته الكاملة ولذلك لم يرمه أحد بتهمة الكذب أو الاحتيال فى أول الأمر بل ذهبوا يدعون أنه فقد وعيه أو أنه شاعر أو ساحر أو مجنون إلا أن الدارس المنصف لحياته ﷺ يعلم يقينا أن الطهر والصدق كانا أخص شمائله ﷺ

(١) أنظر السنن ١٠٦/١٣ .
(٢) فقه السيرة ٦٨ .

وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها وقد شهد بذلك الأصدقاء والأعداء ، وإليك بعضاً من شهادات أعدائه ﷺ لتعرف مبلغ صدقه وأمانته فى دعوى الوحى وأنه لم يكن ليأتى بشىء من القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول هذا من عند الله .

ـ ٤ ـ

شهادة المشركين أول البعثة

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [١] صعد النبى ﷺ على الصفا فجعل ينادى : « يابنى فهر ، يابنى عدى » لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو . فجاء أبو لهب وقريش فقال : « **أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟** » قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : «**إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد** » . فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب** ﴾[٢] .

فانظر رحمك الله وتأمل فى شهادة المشركين للنبى ﷺ بالصدق طيلة عمره معهم ـ ما جربنا عليك إلا صدقا ـ أى أنهم لم يحفظوا عليه كذبة واحدة قبل أن يقول ما قال .

* * *

(١) سورة الشعراء آية (٢١٤) .

(٢) سورة المسد الآية (١ ، ٢)

وانظر فتح البارى لابن حجر ١٠ / ١٢٠ وصحيح مسلم ٣ / ٨٣ .

- ٥ -

شهادة أبا سفيان بين يدى هرقل

روى البخارى في الصحيح عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة [١] التى كان رسول الله ﷺ مادّ [٢] فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه بإيلياء[٣] فدعاهم إلى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟ فقال أبو سفيان فقلت : أنا أقربهم نسباً فقال : أدنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه : قل لهم إنى سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبنى فكذبوه ، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذبا لكذبت عنه ، ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ هل أبوه ملك؟ قلت : لا ، قال فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا ، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ قلت بل ضعفاؤهم قال : أيزيدون أم ينقصون قلت : لا بل يزيدون ، قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا. قال : فهل يغدر ؟قلت : لا ، ونحن منه فى مدة لاندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة[٤] ، قال :فهل قاتلتموه ؟ قلت نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : « اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا

(١) يعنى مدة الصلح بالحديبية سنة ست وكانت مدتها عشر سنين .
(٢) مادّ : أى أطال فى مدتها .
(٣) أى القدس .
(٤) أى انتقصه بها .

واتركوا ما يقول أباؤكم » ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت : لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليزر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل، وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك : أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت [١] لقاءه . ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به دحية [٢] إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية

(١) تجشمت : أى تكلفته على مشقة .

(٢) هو دحيه الكلبى صحابى مشهور .

الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[1] ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر[2] أمر ابن أبي كبشة[3] إنه يخافه ملك بني الأصفر[4] فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام[5] .

فتأمل شهادة قريش الذين قاتلوا رسول الله ﷺ في بدر وأحد والخندق وكيف سجلها أبو سفيان وهو في الجاهلية على الكفر لما سأله هرقل : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : لا ، فلله الحمد والمنة .

- ٦ -

شهادة أمية بن خلف وامرأته

روى البخاري في الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : انطلق سعد بن معاذ معتمرا قال : فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد : ألا انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت ، فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل فقال : من هذا الذي يطوف بالكعبة آمنا وقد

(١) أي الضعفاء والأتباع والفلاحين .
(٢) أي عظم .
(٣) أراد به رسول الله ﷺ .
(٤) أي الروم .
(٥) الفتح ٤٤/١ .

آويتم محمدا وأصحابه فقال : نعم ، فتلاحيا بينهم فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى ثم قال سعد : والله لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام ، قال فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك وجعل يمسكه فغضب سعد فقال : دعنا عنك فإنى سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك ، قال : إياى ؟ قال : نعم قال : والله ما يكذب محمداً إذا حدث فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال لى أخى اليثربى ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلى ، قالت : فوالله مايكذب محمد . قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته : ألا ذكرت ما قال لك أخوك اليثربى ؟ قال : فأراد أن لا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادى فسر يوما أو يومين، فسار معهم فقتله الله[1] .

فتأمل يا عبدالله شهادة الرجل وامرأته عندما قالا : فوالله ما يكذب محمداً إذا حدث مع شدة عداوتهما له ﷺ فيا لها من شهادة .

هذا وإنك لو تتبعت سيرته الشريفة من لدن طفولته ﷺ ونشأته إلى شبابه وكهولته إلى مبعثه إلى وفاته ﷺ فلن تشك فى أنه كان أصدق الناس وأبعدهم عن الكذب ، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها كما شهد ويشهد بها أصدقاؤه وأعداؤه على مر العصور .

قالت الدكتورة لورافيشيا فاغليرى : لقد حاول أقوى أعداء الإسلام وقد أعماهم الحقد أن يرموا نبى الله ببعض التهم المفتراة نسوا أن محمداً كان قبل أن يستهل رسالته موضع الإجلال العظيم من مواطنيه بسبب أمانته وطهارة حياته ، ومن عجب أن هؤلاء الناس لا يجشمون أنفسهم عناء التساؤل : كيف جاز أن يقوى محمد على تهديد الكاذبين والمرائين فى

---

(١) الفتح ٧ / ٤٤٢ .

بعض آيات القرآن اللاسعة بنار الجحيم الأبدية لو كان هو قبل ذلك رجلا كذابا ؟ كيف جرؤ على التبشير على الرغم من إهانات مواطنيه إذا لم يكن ثمة قوى داخلية تحثه وهو الرجل ذو الفطرة البسيطة حثاً موصولا حتى استطاع أكثر من عشر سنوات فى مكة ، فى نجاح قليل جداً وفى أحزان لا تحصى إذا لم يكن مؤمنا إيمانا عميقا بصدق رسالته ؟ كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء والأذكياء وأن يؤازروه ويدخلوا فى الدين الجديد ويشدوا أنفسهم بالتالى إلى مجتمع مؤلف فى كثرته من الأرقاء والعتقاء والفقراء المعدمين إذا لم يلمسوا فى كلمته حرارة الصدق ؟ ولسنا فى حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك ، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد ﷺ كان عميقاً وأكيداً[1]

علامات النبوة بعد بعثته ﷺ

- ٧ -

إعجاز القرآن المستمر

عجز الجن والإنس عن معارضة القرآن بمثله

أنزل الله عز وجل القرآن على عبده ورسوله النبى الأمى الذى كان لا يعرف القراءة والكتابة ولا يعلم شيئا من علم الأوائل وأخبار الماضين فضلا عن غيب المستأخرين وتحدى من ينكره من الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعى أعدائه على معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا ثم تنازل إلى التحدى بسورة من مثله فعجزوا عنه ، وهذا من أعظم المعجزات وأروع الآيات .

---

(١) دفاع عن الإسلام ٣٧ - ٣٨ .

قال الله عز وجل فى سورة الطـــور وهى مكيـة :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (١).

أى إن كنتم صادقين فى أنه قاله من عنده فأتوا بمثل ما جاء به فإنكم بشر مثله .

ـ وقال تعالى أيضا فى سورة هـود وهى مكيـة أيضا :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢)

ـ وقال تعالى فى سوة يونس وهى مكية أيضا :

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣).

ـ وقال تعالى فى سورة البقـرة وهى مدنيـة :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الطور آية (٣٤) .
(٢) سورة هود آية (١٣) .
(٣) سورة يونس آية (٣٧) .
(٤) سورة البقرة آية (٢٣ – ٢٤) .

فانظر رحمك الله كيف تحداهم وكرر عليهم ذلك التحدى فى صور شتى ، متهكما بهم متدرجاً معهم إلى الأخف فالأخف ، وأباح لهم فى كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا ، ثم رماهم والعالم كله بالعجز فى غير مواربة فقال :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) .

فبين الله جل وعلا أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن بل عن عشر سور مثله بل عن سورة منه وأنهم لا يستطيعون ذلك أبدا كما قال تعالى﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ (٢) أى فإن لم تفعلوا فى الماضى والحاضر ولن تستطيعوا ذلك فى المستقبل ، وهذا تحد ثان وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا فى الحال ولا فى المآل ، ومثل هذا التحدى إنما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته ولا الإتيان بمثله ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف أن يعارض فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له خاصة وأنه كما قال القاضى عبد الجبار : لا يعرف العرب كلها ولا يحصى قبائلها ، والفصاحة والبلاغة مثبوتة فى رجالها ونسائها وعبيدها وإمائها وقد علم ﷺ أنهم فى اللغة والبلاغة قبله وهو منهم تعلم وهو عاقل فلولا أنه قد تيقن أنهم لا يأتون بمثله لما أقدم على الاخبار بذلك .

وهكذا وقع فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتى بنظيره ولا نظير سورة منه وهذا لا سبيل إليه أبدا فإنه كلام رب العالمين الذى لا يشبهه شيء من خلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فأنى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق ، وهكذا لا يزال تحدى القرآن الكريم

---

(١) سورة الإسراء آية (٨٨) .

(٢) سورة البقرة آية (٢٤) .

قائما ومستمرا على مر القرون والأجيال وهى خاصية عظيمة ورائعة فى صالح القرآن تثبت دون مرية أنه كلام رب العالمين ، وأى إنسان يتمتع بكفاءة التفكير والإمعان فى حقيقة الأمر والتخلى عن التعصب يكفيه ذلك ليؤمن بهذا الكتاب .

قالت المستشرقة الإيطالية الدكتورة لورافيشيا فاغليرى فى كتابها دفاع عن الإسلام : إن معجزة الإسلام العظمى هى القرآن الذى ينقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة ، من خلاله أنباء تتصف بيقين مطلق إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته ، إن كلا من تعبيراته شامل جامع ومع ذلك هو ذو حجم مناسب ليس بالطويل أكثر مما ينبغى وليس بالقصير أكثر مما ينبغى ، أما أسلوبه فأصيل فريد ، وليس ثمة إيماء نمط لهذا الأسلوب فى الأدب العربى الذى تحدر إلينا من العصور التى سبقته والأثر الذى يحدثه فى النفس البشرية إنما يتم من غير إيماء عرضى أو إضافى من خلال سموه السليقى ، إن آياته كلها على مستوى واحد من البلاغة حتى عندما تعالج موضوعات لابد أن تؤثر فى نفسها أو جرسها كموضوع الوصايا والنواهى وما إليها ، إنه يكرر قصص الأنبياء وأوصاف بدء العالم ونهايته وصفات الله وتفسيرها ولكنه يكررها على نحو مثير إلى درجة لا تضعف من أثرها ، وهو ينتقل من موضوع إلى موضوع من غير أن يفقد قوته ، إننا نقع هنا على العمق والعذوبة معا ، وهما لا تجتمعان عادة حيث تجد كل صورة بلاغية تطبيقا كاملا ، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ـ ﷺ ـ وهو العربى الأمى الذى لم يلفظ طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات لا ينم أى منها عن أدنى موهبة شعرية .

وقالت أيضا : إن هذا الكتاب ـ يعنى القرآن ـ إلى جانب كماله من حيث الشكل والطريقة فقد أثبت أنه ممتنع عن التقليد والمحاكاة حتى فى مادته ، فنحن نقرأ فيه إلى جانب أشياء أخرى كثيرة تنبؤاً ببعض أحداث

المستقبل ، ووصفا لوقائع حدثت منذ قرون ولكنها كانت مجهولة على وجه عام ، إن ثمة إشارات كثيرة إلى نواميس الطبيعة وإلى علوم مختلفة دينية ودنيوية ، إننا نقع على ذخائر واسعة من المعرفة تعجز أكثر الناس ذكاء وأعظم الفلاسفة وأقدر رجال السياسة ، ولهذه الأسباب كلها لا يمكن للقرآن أن يكون من عمل رجل غير مثقف قضى حياته كلها وسط مجتمع جاف بعيد عن أصحاب العلم والدين ، رجل أصر دائما على أنه ليس إلا رجلاً مثل سائر الرجال ، فهو بوصفه هذا عاجز عن اجتراح المعجزات مالم يساعده على ذلك ربه الكلى القدرة ، إن القرآن لا يعقل أن ينبثق عن غير الذات التى وسع علمها كل شيء فى السماء والأرض [(١)] .

وقال الذين كفروا من أهل الكتاب أن القرآن ما هو إلا تحريف بشع للتوراة وأن محمد ﷺ لم يوح إليه حرف واحد من الله تعالى وأنه تعلمه من بحيرا الراهب عندما لقيه فى الشام [(٢)] .

وقد تولى الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى رحمه الله دفع هذه الشبهة فى مناهل العرفان بقوله :

أولاً ـ إن هذه الدعوة مجردة من الدليل ، خالية من التحديد والتعيين ، ومثل الدعاوى لا تقبل ما دامت غير مدللة ، وإلا فليخبرونا ما الذى سمعه محمد من بحيرا الراهب ؟ ومتى كان ذلك ؟ وأين كان ؟

ثانيا ـ أن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام فى تجارة مرتين ، مرة فى طفولته ومرة فى شبابه ، ولم يسافر غير هاتين المرتين ، ولم يجاوز سوق بصرى فيهما ، ولم يسمع من بحيرا ولا من غيره شيئا من الدين ، ولم يك أمره سراً هناك بل كان معه شاهد فى المرة الأولى وهو عمه

---

(١) دفاع عن الإسلام ٥٦ – ٥٨ .

(٢) قال تعالى ﴿ لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ .

أبو طالب ، وشاهد فى الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التى خرج الرسول بتجارتها أيامئذ ، وكل ما هنالك أن بحيرا رأى سحابة تظلله ﷺ من الشمس، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن ، ثم حذره عليه من اليهود ، وقد رجع به عمه خوفا عليه ولم يتم رحلته . كذلك روى هذا الحادث من طرق فى بعض أسانيدها ضعف ، ورواية الترمذى ليس فيها اسم بحيرا ، وليس فى شىء من الروايات أنه ﷺ سمع بحيرا أو تلقى منه درسا واحدا أو كلمة واحدة لا فى العقائد ولا فى العبادات ولا فى المعاملات ولا فى الأخلاق ، فأنى يؤفكون ؟

ثالثاً ـ أن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم لمحمد ﷺ لأنه بشره أو بشر عمه بنبوته ، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التى يزفها ثم ينصب نفسه أستاذا لصاحبها الذى سيأخذ عن الله ويتلقى من جبريل ويكون هو أستاذ الأستاذين وهادى الهداة والمرشدين وإلا كان هذا الراهب متناقضا مع نفسه .

رابعاً ـ أن بحيرا الراهب لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامى المعجز ، لكان هو الأحرى بالنبوة والرسالة والإنتداب لهذا الأمر العظيم .

خامساً ـ أنه يستحيل فى مجرى العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ثم ينضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف ، بحيث يصبح أستاذ العلم كله لمجرد أنه لقى مصادفة واتفاقاً راهباً من الرهبان مرتين ، على حين أن هذا التلميذ كان فى كلتا المرتين مشتغلا عن التعليم بالتجارة ، وكان أميا لا يعرف القراءة والكتابة ، وكان صغيرا تابعا لعمه فى المرة الأولى ،وكان حاملا لأمانة ثقيلة فى عنقه لا بد أن يؤديها كاملة فى المرة الثانية ، وهى أمانة العمل والإخلاص فى مال خديجة وتجارتها .

سادساً ـ أن طبيعة الدين الذى ينتمى إليه الراهب بحيرا ، تأبى أن تكون

مصدرا للقرآن وهدايته ، خصوصا بعد ما أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير وتحريف .

وحسبك أدلة على ذلك أن القرآن قد صور علوم أهل الكتاب فى زمانه بأنها الجهالات ثم تصدى لتصحيحها ، وصور عقائدهم بأنها الضلالات ثم عمل على تقويمها ، وصور أعمالهم بأنها المخازى والمنكرات ثم حض على تركها ، ثم تذكر أن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه ، وأن الخطأ لا يمكن أن يكون مصدرا للصواب ، وأن الظلام لا يمكن أن يكون مشرقا للنور .

سابعاً ـ أن أصحاب هذه الشبهة من الملاحدة يقولون : أن القرآن هو الأثر التاريخى الوحيد الذى يمثل روح عصره أصدق تمثيل . فإذا كانوا صادقين فى هذه الكلمة فإننا نحاكمهم فى هذه الشبهة إلى القرآن نفسه ، وندعوهم ليقرأوا ولو مرة واحدة بتعقل ونصفة ، لعرفوا منه كيف كانت الأديان وعلمائها وكتابها فى عصره ؟ وليعلموا أنها ما كانت لتصلح لأستاذية رشيدة ، بل كانت هى فى أشد الحاجة إلى أستاذية رشيدة . إنهم إن فعلوا ذلك فسيستريحون ويريحون الناس من هذا الضلال والزيغ ومن ذلك الخبط والخلط ، هدانا وهداهم الله فإن الهدى هداه ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (١).

ثامنا ـ أن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة ، لفرح بها قومه وقاموا لها وقعدوا لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة ، ولكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة فحين أرادوا طعنة بأنه تعلم القرآن من غيره لم يفكروا أن يقولوا أنه تعلم من بحيرا الراهب كما قال هؤلاء ، لأن العقل لا يصدق ذلك والهزل لا يسعه ، بل لجأوا إلى رجل فى نسبة الأستاذية

(١) سورة النور آية (٤٠) .

إليه شيء من الطرافة والهزل ، حتى إذا مجت العقول نسبة الأستاذية إليه لاستحالتها ، قبلتها النفوس لهزلها وطرافتها ، فقالوا : إنما يعلمه بشر ، وأرادوا بالبشر حدادا روميا منهمكا بين مطرقته وسندانه ، ظالاً طول يومه فى خبث الحديد وناره ودخانه ، غير أنه اجتمع فيه أمران حسبوهما مناط ترويج تهمتهم أحدهما : أنه مقيم بمكة إقامة تيسر لمحمد الإتصال الدائم الوثيق به، والتلقى عنه ، والآخر : غريب وليس منهم ، ليخيلوا إلى قومهم أن عند هذا الرجل علم ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم فيكون ذلك أدنى إلى التصديق بأستاذيته لمحمد ، وغاب عنهم أن الحق لا يزال نوره ساطعاً يدل عليه ، لأن هذا الحداد الرومى أعجمى لا يحسن العربية ، فليس بمعقول أن يكون مصدرا لهذا القرآن الذى هو أبلغ نصوص العربية بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية .

﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [1] .

- ٨ -

تحقق وعد البارى عز وجل بحفظ القرآن

أنزل الله عز وجل القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل والضياع فقال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [2] .

وهذه آية من سورة مكية ، قال العالم الربانى محمد عبد الله دراز تغمده الله بواسع رحمته : وأنت قد تعرف أستمرار الدعوة المحمدية بمكة ، عشر سنوات كلها اعراض من قومه عن الاستماع لقرآنه وصد لغيرهم عن

(١) مناهل العرفان ٣١٧/٢ - ٣١٩ . والآية من سورة النحل آية (١٠٣)

(٢) سورة الحجر آية (٩) .

الإصغاء له واضطهاد وتعذيب لتلك الفئة القلية التى آمنت به ثم مقاطعة له ولعشيرته ومحاصرتهم مدة غير يسيرة فى شعب [١] من شعاب مكة ثم مؤامرات سرية أو علنية على قتله أو نفيه ، فهل للمرء أن يلمح فى ثنايا هذا الليل الحالك الذى طوله عشرة أعوام شعاعاً ولو ضئيلاً من الرجاء أن يتنفس صبحه عن الإذن لهؤلاء المظلومين برفع صوتهم وإعلان دعوتهم ؟ ولو شام المصلح تلك البارقة من الأمل فى جوانب نفسه من طبيعة دعوته لا فى أفق الحوادث ، فهل يتفق له فى مثل هذه الظروف أن يربو فى نفسه الأمل حتى يصير حكما قاطعا ؟ وهبة امتلأ رجاء بظهور دعوته فى حياته ما دام يتعهدها بنفسه فمن يتكفل له بعد موته ببقاء هذه الدعوة وحمايتها وسط أمواج المستقبل العاتية ؟ وكيف يجيئه فى ذلك اليقين وهو يعلم من صيحات الإصلاح فما لبثت أصواته أن ذهبت أدراج الرياح وكم من نبى قتل وكم من كتاب انتقص أو بدل .

فلابد إذا من كفيل بهذا الحفظ من خارج نفسه ومن ذا الذى يملك هذا الضمان على الدهر المتقلب المملوء بالمفاجآت إلا رب الدهر الذى بيده زمام الحوادث كلها والذى قدر مبدأها ومنتهاها وأحاط علما بمجراها ومرساها فلولا فضل الله ورحمته لما استطاع القرآن أن يقاوم تلك الحروب العنيفة التى أقيمت ولا تزال تقام عليه بين آن وآن .

سل التاريخ : كم مرة تسلط الفجار على المسلمين فأثخنوا فيهم القتل وأكرهوا أمما منهم على الكفر وأحرقوا الكتب وهدموا المساجد وصنعوا ما كان يكفى القليل منه لضياع القرآن كلا أو بعضاً كما فعل بالكتب قبله لولا أن يد العناية تحرسه فبقى فى وسط هذه المعامع [٢] رافعاً راياته وأعلامه

---

(١) الشعب : الطريق الضيق بين جبلين .

(٢) المعامع : صوت الحروب بما فيها من سيوف وحروب وخيول مفردها (معمعة) .

يقول عنترة بن شداد : وفى الحرب العوان ولدت طفلاً .... ومن لبن المعامع قد سقيت

حـافظاً آياته وأحكامـه ، ذلك بأن الذى يمسكه أن يزول هو الذى يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ذلك بأن الله ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) والله بالغ أمره ومتم نوره فظهر وسيبقى ظاهراً لا يضيره من خالفه حتى يأتى أمر الله(٢)

ـ ٩ ـ

انتظام آيات السور رغم تعدد النجوم(٣) وتباعد ما بينها

بقى القرآن الكريم يتنزل على قلب النبى ﷺ منجماً (أى مفرقا) فى مدة ثلاث وعشرين سنة ، فلما تم ، تم مترابطا محكما لا متنافرا متباعدا .

قال الزرقانى رحمه الله تعالى : الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه وبيان ذلك أن القرآن الكريم نقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد دقيق السبك قوى الإتصال آخذ بعضه برقاب بعض فى سوره وآياته وجمله ، يجرى دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته وهنا نتساءل : كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز ؟ وكيف استقام له هذا التناسق المدهش ؟ على حين أنه لم يتنزل جملة واحدة بل تنزل آحادا مفرقة تفرق الوقائع والحوادث فى أكثر من عشرين عاماً ؟

---

(١) سورة التوبة آية (٣٣) .

(٢) النبـأ العظيـم ٤٢ .

(٣) تعدد النجوم : أى تفرق أوقات نزولها وتباعدها .

الجواب : أننا نلمح هنا سرا جديدا من أسرار الإعجاز ونشهد سمة فذة من سمات الربوبية ونقرأ دليلا ساطعا على مصدر القرآن وأنه كلام الواحد الديان .

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

وإلا فحدثني ـ بربك ـ كيف تستطيع أنت أم كيف يستطيع الخلق جميعا أن يأتوا بكتاب محكم الإتصال والترابط متين النسج والسرد متآلف البدايات والنهايات مع خضوعه في التأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر وهى وقائع الزمن وأحداثه التى يجىء كل جزء من هذا الكتاب تبعاً لها ومتحدثا عنها سببا بعد سبب وداعية بعد داعية مع اختلاف ما بين هذه الدواعى وتغاير ما بين تلك الأسباب ومع تراخى زمان هذا التأليف وتطاول آماد النجوم إلى أكثر من عشرين عاما-.

لا ريب أن هذا الإنفصال الزمانى وذاك الإختلاف الملحوظ بين هاتيك الدواعى يستلزمان فى مجرى العادة الفكك والإنحلال ولا يدعان مجالا للارتباط والإتصال بين نجوم هذا الكلام .

أما القرآن الكريم فقد خرق العادة فى هذه الناحية أيضا : نزل مفرقاً منجماً ولكنه تم مترابطاً محكماً وتفرقت نجومه تفرق الأسباب ولكن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب ولم يتكامل نزوله إلا بعد عشرين عاما ولكن تكامل انسجامه بداية وختاماً !

أليس ذلك برهاناً ساطعاً على أنه كلام خالق القوى والقدر ومالك الأسباب والمسببات ، ومدبر الخلق والكائنات وقيوم الأرض والسماوات العليم بما كان وسيكون ، الخبير بالزمان وما يحدث فيه من شئون ؟

---

(١) سورة النساء آية (٨٢) .

لاحـظ فـوق ما أسلفنا أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آيـة قال : « ضعوها فى مكان كذا من سورة كذا » وهو بشر لا يدرى (طبعاً) ما ستجيء به الأيام ولا يعلم ماسيكون فى مستقبل الزمان ولا يدرك ما سيحدث من الدواعى والأحداث فضلا عما سينزل من الله فيها وهكذا يمضى العمر الطويل والرسول على هذا العهد يأتيه الوحى بالقرآن نجماً بعد نجم ، وإذا القـرآن كله بعد هذا العـمـر الطويل يكمل ويتم وينتظم ويتـآخى ويأتلف ويلتئم ولا يؤخذ عليه أدنى تخاذل ولا تفاوت بل يعجز الخلق طرا بما فيه من انسجام ووحدة وترابط .

﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (١)

إذاً فالقرآن الكريم ينطق نزوله منجماً بأنه كلام الله وحده ، وتلك حكمة جليلة الشأن تدل الخلق على الحق فى مصدر القرآن .

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾(٢) انتهى ملخصا (٣) .

ـ ١٠ ـ

اختلاف أسلوب القرآن عن أسلوب الحديث

ورثنا كلام الله تعالى (القرآن) وكلام رسول الله ﷺ (الحديث) فما وجدنا بينهما فى الأسلوب شبها ولا تقاربا ، بل وجدنا الأسلوب القرآنى ضربا وحده ، ووجدنا الحديث النبوى ضرباً وحده ، فلو كان القرآن من عند محمد ﷺ للزم التشابه أو حتى التقارب بين القرآن والحديث ، خاصة وقد لبث ثلاثا وعشرين عاما يتلو هذا القرآن العظيم ويتكلم بالكلام المحمدى

---

(١) سورة هود آية (١) .

(٢) سورة الفرقان آية (٦) .

(٣) مناهل العرفان ١/٥٥ .

فلما رأينا البعد فى الأسلوب بينهما ازددنا يقينا بصدق رسول الله ﷺ وأنه :

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

كذلك لو كان محمد ﷺ هو الذى أتى بالقرآن من تلقاء نفسه لاستطاع أن يأتى بمثله أو بسورة من مثله ولو قصرت من هو أشبه الناس به طبعاً وأكثرهم له مصاحبة ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، فلذلك سلمنا بنبوته ﷺ . ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢) .

ـ ١١ ـ

امتناع اليهود من تمنى الموت

وذلك أن اليهود عليهم لعائن الله تعالى كانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم هم أهل الجنة وأن من عداهم من أهل النار ، فلما بعث الله عز وجل نبيه ﷺ بالهدى ودين الحق استكبروا وكذبوا واتبعوا أهواءهم ، وهم إذ ذاك يعرفون النبى ﷺ كما أخبر الله جل ثناؤه ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (٣) فأمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ ـ كما أخبر ابن جرير (٤) رحمه الله ـ أن يقول لفريق اليهود : إن كنتم محقين فتمنوا الموت فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله فإنما تصبرون إلى الراحة من تعب الدنيا والفوز بجوار الله فى جناته إن كان الأمر كما تزعمون ، فامتنعت اليهود من إجابته ﷺ إلى ذلك لعلمها أنها إن

---

(١) سورة يونس آية (٣٧) .

(٢) سورة آل عمران آية (٦٣) .

(٣) سورة البقرة آية (١٤٦) .

(٤) ابن جرير الطبرى هو : محمد بن جرير الطبرى أبو جعفر المفسر المقرىء المحدث والمؤرخ الفقيه والأصولى المجتهد ولد بآمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ واستوطن بغداد اختار لنفسه مذهبا فى الفقه . له التفسير المشهور واختلاف الفقهاء . توفى سنة ٣١٠ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٦٢/٢ .

تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت إلى خزى مقيم وعذاب أليم ، فلما تأخروا ظهر كذب أحبارهم ووضح ضلال علمائهم .

ومثل هذا التحدى لايمكن أن يصدر عن متقول ومثل هذا النكوص لا يكون من أمة كتابية إلا أن تكون قد استيقنت بأن هذا المتحدى هو النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل وظلت اليهود باقية على الإمتناع فلم يقع تمنى الموت ممن سلف منهم ولا خلف ، كلهم يأبى تمنى الموت ، وهذا هو الإعجاز المستمر .

قال الله عز وجل فى سورة البقرة :

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [١] .

ـ ١٢ ـ

امتناع نصارى نجران من الملاعنة

وكان من أمرهم أنهم قدموا على رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الإسلام فقالوا : قد أسلمنا قبلك ، وكذبوا فقد منعهم من الإسلام دعاؤهم لله الولد وعبادتهم الصليب وأكلهم الخنزير ، وبلغ بهم العناد والجهل والإستنكار والغلو فى عيسى بن مريم عليه السلام أن قالوا : فمن أبوه يا محمد ؟ فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ومن ذلك قوله عز وجل :

﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا

---

(١) سورة البقرة آية (٩٤) .

تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ (١) فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

فدعاهم رسول الله ﷺ بعد قيام الحجة عليهم فى المناظرة إلى المباهلة (٣) إن ردوا ذلك عليه فجنحوا للسلم وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون فضربها عليهم .

روى البخارى فى الصحيح عن حذيفة رضى الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ، قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث رجلا أمينا فقال : « **لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين** » فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال : « **قم يا أبا عبيدة بن الجراح** » فلما قام قال رسول الله ﷺ : **هذا أمين هذه الأمة** » (٤) .

وهذا من الإعجاز الباهر إذ أنهم لما نكلوا عن المباهلة وخافوا العواقب من جراء ذلك علم كذبهم وظهر ضلالهم لأنهم لو كانوا جازمين أنهم على الحق وأن محمدا مفتر كذاب لكانوا أقدموا على المباهلة ، فلله الحمد ملء

(١) نبتهل : أى نلتعن .
(٢) سورة آل عمران آية (٥٨ : ٦٤) .
(٣) المباهلة : أى المخاصمة والاجتماع ودعوة بعضهم على بعض وطلبهم من الله تبارك وتعالى أن ينزل لعنته على الظالم منهم .
(٤) الفتح ٩ / ١٥٧ .

السماوات وملء الأرض الذى هدانا للإسلام وجعلنا من المسلمين ، يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو العلى العظيم .

الدقة فى ذكر أخبار الأنبياء عليهم السلام وما جرى لهم مع أممهم[1]

لقد علم كل أحد أن محمدا ﷺ ظهر فى مكة واشتهر بالأمية فلم يكن يتلو شيئا من الكتاب فيتعلم بذلك ما يمكن تعلمه من أخبار الأمم المتقدمة ، ولم يكن يكتب بيده هذه الأخبار فيقدم ويؤخر ليخرجها أخيرا بأسلوب جديد وكتاب فريد اسمه القرآن . قال تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [2] .

أليس يكفى إذا للاقرار بنبوة من هذه حاله من الأمية أن يقول ـ وهو الذى اشتهر بالصدق والأمانة حتى سمى بالصادق الأمين قبل مبعثه ـ : أن الله اصطفاه وبعثه للناس رسولا ويأتى بكلام لم يعهد أنه تكلم به فى ما مضى من حياته ويذكر مجمل ما جرى من قصص الأولين وما جرى لهم مع أنبيائهم وحوادث طوفان نوح وريح هود وناقة صالح وغير ذلك من الأحداث بتفصيل دقيق حتى إنه ليذكر عن أهل الكهف أنهم لبثوا فى كهفهم ﴿ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [3] وعند أهل الكتاب : أنهم لبثوا فى الكهف ثلاثمائة سنة ، وهذه السنون التسع هى الفرق بين عدد السنين الشمسية عند أهل الكتاب والقمرية عند العرب . والذى نفسى بيده لو لم يكن من علامات نبوته إلا هذه لكفى وزاد عن الكفاية فتعسا

---

(١) إن شئت فاقرأ من القرآن الكريم سورة الأعراف أو سورة هود أو سورة مريم .

(٢) سورة العنكبوت آية (٤٨) .

(٣) سورة الكهف آية (٢٥) .

لمن لا يستجيب .

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] .

ـ ١٤ ـ

ما فى القرآن من العلوم والمعارف التى يستحيل على الأميين الإحاطة بها

قال الزرقانى رحمه الله : وبيان ذلك أن القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف فى هداية الخلق إلى الحق ، بلغت من نبالة القصد ونصاعة الحجة وحسن الأثر وعموم النفع مبلغا يستحيل على محمد ـ وهو رجل أمى نشأ بين الأميين ـ أن يأتى بها من عندِ نفسه بل يستحيل على أهل الأرض جميعا من علماء وأدباء وفلاسفة ومشرعين وأخلاقيين أن يأتوا من تلقاء أنفسهم بمثلها .

هذا هو التنزيل الحكيم ، تقرؤه فإذا بحر العلوم والمعارف متلاطم زاخر وإذا روح الإصلاح فيه قوى قاهر . ثم إذا هو يجمع الكمال من أطرافه ، فبينما تراه يصلح ما أفسده الفلاسفة بفلستهم ، إذ تراه يهدم ما تردى فيه الوثنيون بشركهم وبينما تراه يصحح ما حرفه أهل الأديان فى دياناتهم ، إذ تراه يقدم للإنسانية مزيجاً صالحاً من عقيدة راشدة ترفع همة العبد ، وعبادة قويمة تطهر نفس الإنسان ، وأخلاق عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة الله فى الأرض ، وأحكام شخصية ومدنية واجتماعية حياة المجتمع من الفوضى والفساد وتضمن له حياة الطمأنينة والنظام والسلام والسعادة ..دينا قيما يسارق الفطرة ويوائم الطبيعة ، ويشبع حاجات القلب والعقل ، ويوفق بين

---

(١) سورة يونس آية (٣٧) .

مطالب الروح والجسد ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا ، ويجمع بين عز الآخرة والأولى ، كل ذلك فى قصد واعتدال وبراهين واضحة مقنعة تبهر العقل وتملك اللب . والكلام على هذه التفاصيل يستنفد مجلدا بل مجلدات ، فلنجتزىء هنا بأمثلة وإشارات ، ولنخترها فى موضوع العقائد التى هى واحدة فى جميع أديان الله بحسب أصلها قبل التحريف . ولنتعرض فى هذه الأمثلة إلى شيء من المقارنة بين تعاليم الإسلام وتعاليم اليهود والنصارى على عهد نزوله ، ثم إلى شيء من رد القرآن عليهم وتصحيحه لأغلاطهم وفضحه لأباطيلهم ، ومقصدنا من هذا قطع ألسنة خارصة ، زعم أصحابها أن تعاليم القرآن استمدها محمد من بعض أهل الكتاب فى عصره ثم نسبها إلى ربه ، ليستمد من هذه النسبة قدسيتها ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ (١) .

(أ) أمثلة من عقيدة الإيمان بالله :

١ ـ جاء القرآن بالعقيدة فى الله بيضاء نقية ، نزهة فيها عن جميع النقائص ، ونص على استحالة الولد وكل ما يشعر بمشابهة الخالق بالمخلوق ووصف الله بالكمال المطلق ونص على وحدانيته فى ربوبيته ووحدانيته فى ألوهيته ، بمعنى أنه أحد فى تدبير خلقه واحد فى استحقاقه العبادة دون غيره .

ألم تر أنه يقول ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٢) .

ويقول ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الكهف آية (٥) .

(٢) سورة الشورى آية (١١) .

(٣) سورة الإسراء آية (١١١)

ويقـول ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ ﴾ (١) .

ويقول ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

ويقول ﴿ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٣) .

ويقول ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) .

ويقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥) .

ويقول ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ (٦) .

ويقول ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ (٧) .

ويقـول ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (٨) (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٩) .

---

(١) سورة الأنعام آية (١٤) .
(٢) سورة المؤمنين آية (٨٨) .
(٣) سورة الجن آية (١٨) .
(٤) سورة يونس آية (١٠٧) .
(٥) سورة الزمر آية (٥٣) .
(٦) سورة آل عمران آية (١٣٥) .
(٧) سورة الأنعام آية (٥٠) .
(٨) قطمير : أى شق النواة ، وقيل القشرة الرقيقة على النواة بينها وبين التمر .
(٩) سورة فاطر آية (١٣) .

ويقول ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (١) . إلى غير ذلك وهو حد كثير .

٢ ـ وضل اليهود بعد موسى فعبدوا بعولا ، وزعموا فى عهد من عهودهم أن لله إبنا ، وشبهوا الله تعالى بالإنسان فنعتوه بأنه تعب من خلق السماوات والأرض فاستراح يوم السبت ، وركبوا رؤسهم فقالوا أنه سبحانه ظهر فى شكل إنسان وصارع إسرائيل فلم يقدر على التفلت منه حتى باركه فأطلقه ، إلى غير ذلك من أغلاطهم وفضائحهم .

٣ ـ وضل النصارى بعد عيسى ، فذهبوا إلى عقيدة معقدة من التثليث وصارت كنائسهم من عهد قسطنطين كهياكل الوثنية الأولى وخلعوا على رجال كهنوتهم ما هو حق الله وحده من التشريع والتحليل والتحريم ، حتى تعزى بهم وثنيو العرب ورأوا أنهم أمثل من هؤلاء المسيحيين فى الوثنية .

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ (٢) .

ثم احتجوا على شركهم بأنهم ما سمعوا دعوى التوحيد الذى جاء به الإسلام فى الملة الآخرة .

﴿ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ ﴾ (٣) . أى النصرانيـة .

٤ ـ فانظر مدى البون الشاسع بين الحق الذى جاء به القرآن فى هذا

---

(١) سورة الإسراء آية (٥٦ ، ٥٧) .

(٢) سورة الزخرف آية (٥٧) .

(٣) سورة ص آية (٦) .

الباب ، وبين الباطل الذى جاء به هؤلاء وهؤلاء ، على أن كتاب الله لم يكتف بذلك ، بل رد على أولئك المبطلين ببراهينه الساطعة وأدلته القاطعة استمع إليه وهو يقول : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

ويقول ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (٢) .

ويقول ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ - أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣) .

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ - وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٤) .

ويقول ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ - بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥) .

ويقول فى نفى التعب الذى افتراه اليهود على الله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) ﴾ (٦) .

ويقول نعيا عليهم فى فرية أخرى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٤.
(٢) سورة النساء الآيتين ١٧١ ، ١٧٢ .
(٣) سورة المائدة آية (٧٥) وما بعدها .
(٤) سورة المائدة آية (٧٧) وما بعدها .
(٥) سورة الأنعام آية (١٠١) وما بعدها .
(٦) سورة ق الآية ٣٨ .

أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (١) .

ويقول في نفي البنوة التي زعموها لله هم والنصارى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ (٢) قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣) .

(ب) أمثلة من عقيدة البعث والجزاء :

١ ـ جاء القرآن بعقيدة البعث بعد الموت واضحة شاملة للروح والجسد ، عادلة لا ظلم فيها ولا محاباة ، مقسمة لا شفاعة هناك بالمعنى الفاسد ولا فدا ، عامة لا فضل لجنس ولا لطائفة ولا لشخص إلا بالتقوى .

إقرأ إن شئت قوله سبحانه :

﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾(٤) .

وقوله ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ - يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (٥) .

وقوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٤ .

(٢) يضاهئون : أي يشابهونهم ويشاكلونهم .

(٣) سورة التوبة الآيات من ٢٩ إلى ٣٢ .

(٤) سورة نوح آية (١٧) .

(٥) سورة القيامة آية (٣٦ : ٤٠) .

(٦) سورة الزلزلة آية (٧ ، ٨) .

وقوله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ - حَاسِبِينَ ﴾ (١) .

وقوله ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٣).

٢ ـ وضل اليهود فزعموا أنهم الشعب المختار من بين شعوب الأرض ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة هي مدة عبادتهم العجل أربعين يوما .

٣ ـ وضل النصارى فزعموا أيضا أنهم أبناء الله وأحباؤه وذهبوا في المسيح مذهب الهنود في كرشنة أنه قتل وصلب ليخلص الإنسان ويفديه ويفديهم بنفسه ، وهو الاقنوم الثاني من الثالوث الإلهي الذي هو عين الأول والثالث وكل منهما عين الأخير . كذلك قال الهنود في كرشنة ، ثم جاء مخرفة النصارى فتابعوهم على هذا الخيال الفاسد ، الذي تأباه العقول والطباع ، ولا يتفق وعدل الله وحكمته في الجزاء والمسؤولية ، ولم يستطع الخابطون في هذا الضلال أن يروجوه في ضحاياهم إلا بترويضهم عليه من عهد الصغر ، وتنشئتهم على سماعه واعتقاده من غير بحث ولا نظر ، بل قالوا : « اعتقد وأنت أعمى » .

٤ ـ وضل نساك النصارى فتابعوا الهنود أيضا في احتقار اللذات المادية، وفي تربية النفوس على الحرمان وتعذيب الجسد ، وزادوا الطين بلة فقالوا : إن البعث روحاني مجرد من إعادة الجسم ، مخدوعين بتلك النظرية الفلسفية الخاطئة وهي احتقار اللذات المادية وذمهم إياها بأنها حيوانية ، وغاب عنهم أنها لا تكون نقصا إلا إذا سخر الإنسان عقله وقواه لها ،

---
(١) سورة الأنبياء آية (٤٧) وما بعدها .
(٢) سورة البقرة آية (١٢٣) .
(٣) سورة المؤمنين آية (١٠١) .

وأسرف فيها إسرافا يشغله عن اللذات العقلية والروحية القائمة على العلم النافع والعمل الصالح ، أما إذا اعتدل فيها ووفق بين المطالب الروحية والجسمية ، فتلك مفخرة للإنسان وميزة لنوع الإنسان ، بها صار عالما عجيبا جمع بين روحانية الملائكة وجثمانية الحيوان والنبات ، وقد خلقه الله فى الدنيا مظهرا من مظاهر ابداعه واقتداره ، فكيف ينقص ملكوت الأخرة هذا المظهر العجيب ، على حين أن الآخرة هى دار العجائب والغرائب فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ (١) لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

٥ ـ وكذلك ضل متطرفة منهم فعكسوا الأمر ، وأفرطوا فى حب المادة حتى أحلوا لأنفسهم جمعها من أى طريق ، وبالغوا فى استنزاف دماء العالم فى الربا وأكل أموال الناس بالباطل وظنوا أن لا جناح عليهم إذا رزءوا أى عنصر غريب عنهم .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (٣) .

٦ ـ ولكن القرآن قد جاء يرد هؤلاء وهؤلاء إلى جادة الإعتدال ، ووقف موقفا وسطا يرجع إليه الغالى وينتهى إليه المقصر ، فأعلن عقيدته فى وضوح على نحو ما ذكرنا ، وتناول أخطاءهم المذكورة بالإصلاح والتقويم فقال فى معرض الرد على أنهم الشعب المختار :

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) الحيوان : أى دار الحياة الدائمة التى لا زوال لها ولا انقضاء ولا يموت أهلها ولا يسقمون ولا يحزنون ولا يهرمون بل هم أبداً فى نعيم مقيم .

(٢) سورة العنكبوت آية (٦٤) .

(٣) سورة آل عمران آية (٧٥) .

(٤) سورة البقرة آية (٩٤) .

وقال فى هذا المعرض أيضا :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

وقال أيضا :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ - وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (٢)﴾ (٣) .

وقال فى معرض الرد على أنهم أبناء الله وأحباؤه :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ - وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤) .

وقال فى تفنيد ما زعموه من أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة :

﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٥) .

وقال فى تكذيب ما زعموا من قتل عيسى وصلبه :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ - عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (٦) .

وقال فى دحض عقيدة الفداء (٧) :

﴿ وَلَا تَزِرُ - وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الحجرات آية (١٣) .

(٢) النقير : نكتة فى ظهر النواة منها تنبت النخلة .

(٣) سورة النساء آية (١٢٤) .

(٤) سورة المائدة آية (١٨) .

(٥) سورة البقرة آية (٨١) .

(٦) سورة النساء آية (١٧٥) .

(٧) أى قولهم بأن عيسى عليه السلام صلب للتكفير عن خطيئة آدم التى ارتكبها بأكله من الشجرة التى نهاه الله عنها .

(٨) سورة فاطر آية (١٨) .

وقـال ﴿ مَنْ عَـمِلَ صَـالِحًا فَلِنَفْسِـهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْـهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(١)

ونزلت سورة المسد تسجل العذاب على عم من أعمام أفضل الخلق محمد ﷺ وذكر القرآن ما ذكر فى إبن نوح ولم يطب القرآن نفسا بضلالة: « اعتقد وأنت أعمى » بل حث على النظر والتفكر وحاكم العقائد والتعاليم الإسلامية إلى العقول السليمة . ونعى على المقلدين تقليداً أعمى والأمر فى هذا أظهر من أن تساق له الأمثلة .

وعالج القرآن شبهة احتقـار اللذات المادية بالمعنى الذى أرادوه فقـال : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (٢)

وقـال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ - مُؤْمِنُونَ ﴾ (٣)

وذم الرهبانية ومبتدعيها فقال :

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا - رِعَايَتِهَا ﴾ (٤) .

وعاب على اليهود خيانتهم وظلمهم للشعوب فقال :

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) .

وقـال :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا - وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٦) .

---

(١) سورة فصلت آية (٤٦) .
(٢) سورة الأعراف آية (٣٢) .
(٣) سورة المائدة آية (٨٧) .
(٤) سورة الحديد آية (٢٧) .
(٥) سورة آل عمران آية (٧٥) .
(٦) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

وقـال :

﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم - وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

إلى غير ذلك من آيات كثيرة فى هذه المواضيع .

والذى نريد أن تفطن له هنا ، هو أن هداية القرآن كما رأيت هداية تامة عامة ، صححت معارف الفلاسفة المنكبين على البحث والنظر كما صححت معارف الأميين ومن لا ينتمى إلى العلم بسبب ، وصححت أغلاط أهل الكتاب من يهود ونصارى ، كما صححت أغلاط مؤلهة الحجر وعبدة الوثن ، وإذن فليس يصح فى الأذهان شىء إذا قيل : إن هذه الهدايات فى الأمين ، وليس يصح فى الأذهان شىء إذا قيل أنه ﷺ قد استقى هذه الهدايات من بعض أهل الكتاب الذين لقيهم فى الجزيرة العربية، ولو صح هذا لكانوا هم أولى منه بدعوى الرسالة والنبوة ، وكيف يصح هذا والقرآن هو الذى علمهم ما جهلوا من حقائق دينهم ؟ وهل فاقد الشىء يعطيه ؟ وحسبك ما قدمناه لك من تلك الأمثلة التى تتصل بأساس الأديان وصميم العقائد ، والتى نرى فيها بالمنظار المكبر أن القرآن جالس على كرسى الأستاذية العليا للعالم كله يعلم اليهود والنصارى وغير اليهود والنصارى ، لا على مقعد التلمذة الدنيا يتلقف من هؤلاء وهؤلاء .

فإن لم يكفك ما سمعت ، فدونك القرآن تصفحه وتجول فى آفاقه وناهيك مثل قوله :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٨) .

(٢) سورة المائدة آية (١٦) .

ومثل قوله :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

وإن شئت أكثر من هذا فتأمل كيف أعلن الحق فى صراحة أن بيانه لأهل الكتاب ما اختلفوا فيه هو من مقاصده الأولى إذ قال فى سورة النحل:

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا - لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

هكذا قدم أنه بيان لما اختلف فيه الكتابيون قبل أن يقول (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وكذلك قال فى سورة النمل :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ - عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ (٣) .

لقد لفت القرآن نفسه أنظار الناس إلى هذه الناحية من الإعجاز وأقام الدليل على أنه كلام الله ولا يمكن أن يكون كلام محمد ، إذ قال جلت حكمته فى سورة العنكبوت :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (٤) .

وقال سبحانه مرة أخرى فى سورة الشورى :

---

(١) سورة المائدة آية (١٩) .
(٢) سورة النحل آية (٦٤) .
(٣) سورة النمل آية (٧٦ : ٧٩) .
(٤) سورة العنكبوت آية (٤٧) .

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا - تَصِيرُ الأُمُورُ (١) ﴾ (٢)

النبوآت القرآنية تتحقق طبق ما جاء سواء بسواء

- ١٥ -

تحقق وعد الله عز وجل بظهور الروم على الفرس في بضع سنين

قال الله عز وجل : ﴿ الٓمٓ ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑤ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ⑥ ﴾ (٢).

وهذا الوعد وقع كما أخبر به البارى جلت قدرته وذلك أنه لما غلبت فارس الروم فرح المشركون واغتم بذلك المسلمون لأن النصارى أقرب إلى الإسلام من المجوس فأخبر الله عز وجل رسوله ﷺ بأن الروم ستغلب الفرس بعد هذه المدة فى أقل من تسع سنين وكان من أمر مراهنة الصديق رضى الله عنه رؤوس المشركين على أن ذلك سيقع فى هذه المدة ما هو مشهور ومبسوط فى كتب التفسير فوقع الأمر كما أخبر به الله تعالى ، غلبت الروم فارس بعد غلبهم غلبا عظيما جدا وأسلم عند ذلك ناس كثير فسبحان الله علام الغيوب ولله الحمد والمنة .

ولقد كان الإخبار بهذا النصر وبأنه كائن فى وقت إخبار بأمرين كل منهما خارج عن متناول الظنون وإحاطة العلماء والأميين ، ذلك أن دولة

---

(١) مناهل العرفان ٢ / ٢٣٨ - ٢٤٦ .

(٢) سورة الشورى آية (٥٢ ، ٥٣) .

(٣) سورة الروم من أول السورة وحتى الآية السادسة .

الروم كانت قد بلغت من الضعف حدا يكفى من دلائله أنها غزيت فى عقر دارها وهزمت فى بلادها فغلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصى بلاد الروم واضطر هرقل ملك الروم حتى أجلاه إلى القسطنطينية وحصره فيها مدة طويلة فلم يكن أحد يظن أنها تقوم لها بعد ذلك قائمة فضلا عن أن يحدد الوقت الذى سيكون لها فيه النصر ولذلك كذب به المشركون وتراهنوا على تكذيبه ، على أن القرآن لم يكتف بهذين الوعدين بل عززهما بثالث حيث يقول :

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ (١) .

إشارة إلى أن اليوم الذى يكون فيه النصر هنالك للروم على الفرس سيقع فيه هاهنا نصر للمسلمين على المشركين وإذا كان كل واحد من النصرين فى حد ذاته مستبعدا عند الناس أشد الإستبعاد فكيف بالظن بوقوعهما مقترنين فى يوم ؟ لذلك أكده تعالى أعظم التأكيد بقوله :

﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

ولقد صدق الله عز وجل وعده فتمت للروم الغلبة على الفرس بإجماع المؤرخين فى أقل من تسع سنين وكان يوم نصرها هو اليوم الذى وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين فى غزوة بدر الكبرى كما رواه الترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : «لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس» فلله الحمد والمنة ولله الأمر من قبل ومن بعد وسبحان الله علام الغيوب .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ - يَلْعَبُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الروم (٤ ، ٥) .
(٢) سورة الروم آية (٦) .
(٣) سورة الأنعام آية (٩١) .

يقول المؤرخ إدوارد جيبون فى كتابه « تاريخ سقوط وإندحار الامبراطورية الرومانية » :

« فى ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذه النبؤة لم تكن أية نبؤة يظن أنها أبعد وقوعاً منها لأن السنين الإثنتى عشرة الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية » [1] .

ـ ١٦ ـ

تحقق وعد الله عز وجل بموت أبى لهب وامرأته على الكفر

قال تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[2]

فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب الملقب بأبى لهب سيدخل النار هو وامرأته فقدر الله عز وجل أنهما ماتا على شركهما لم يسلما حتى ولو ظاهراً وهذا من دلائل النبوة الباهرة إذ أنه أمر من أمور الغيب التى لا يعلمها إلا مقدر الأقدار .

* * *

(١) الإسلام يتحدى ص٢٠١ .

(٢) سورة المسد الآيات (١ — ٥) .

- ١٧ -

تحقق وعد الله عز وجل
بهزيمة جمع المشركين في بدر

قال تعالى فى سورة القمر وهى مكية :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (١) .

ووقع هذا يوم بدر وقد تلاها رسول الله ﷺ وهو خارج من العريش (٢) قبل المعركة ورماهم بقبضة من الحصباء (٣) فكان النصر والظفر فلله الحمد والمنة ، وفى هذا اليوم استجاب الله عز وجل لنبيه ﷺ فقد روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ، فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه :

« اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم آتنى ما وعدتنى ، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض » .

فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ

---

(١) سورة القمر آية (٤٥) .
(٢) العريش : ما يستظل به (ج) عُرُش .
(٣) الحصباء : صغار الحجارة

مُرْدِفِينَ ﴾ [١] .

فأمده الله بالملائكة ، قال أبو زميل : فحدثنى ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : اقدم حيزوم [٢] ، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم[٣] أنفه وشق وجهه كضربة السوط فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال :

« **صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة** » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين [٤] . والحمد لله رب العالمين .

ـ ١٨ ـ

تحقق وعد الله عز وجل للنبى ﷺ بدخول المسجد الحرام

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ ـ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [٥] .

فكان هذا الوعد فى سنة الحديبية عام ست ووقع إنجازه فى سنة سبع عام عمرة القضاء فلله الحمد والمنة وسبحان الله علام الغيوب .

* * *

---

(١) سورة الأنفال آية (٩) .
(٢) حيزوم : اسم فرس الملك .
(٣) خطم : أى وشم .
(٤) صحيح مسلم ٨٦/١٢
(٥) سورة الفتح آية (٢٧)

- ١٩ -

تحقق وعد الله عز وجل باستخلاف النبي ﷺ وأصحابه فى الأرض

قال تعالى

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ – أَمْنًا ﴾ (١) .

قال ابن كثير : ولقد صدق الله عز وجل وعده فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيزة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشى ملك الحبشة رحمه الله وأكرمه ، ثم لما مات رسول الله واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهى بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبه خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها، وجيشاً آخر صحبه أبو عبيدة رضى الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام وثالثا صحبه عمرو رضى الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام وثالثا صحبه عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامى فى أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عز جل واختار له ما عنده من الكرامة ومن على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قياماً فتم فى أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصم قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام واضطره إلى القسطنطينية وأنفق أموالهما

(١) سورة النور آية (٥٥) .

فى سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ عندما قال :

« إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » .

ثم لما كانت خلافه عثمان رضى الله عنه امتدت المماليك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب بما فيها القيروان ، وبلاد سبتة (المغرب) والأندلس ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز .

فانظر يا عبد الله كيف جاء تأويل الآية على أوسع معانيها فى عصر الصحابة أنفسهم الذين وقع لهم خطاب المشافهة في قوله جلت قدرته (منكم) فبدلوا من بعد خوفهم أمناً لا خوف فيه واستخلفوا فى أقطار الأرض فورثوا مشارقها ومغاربها وهذا من علامات النبوة الباهرة المؤيدة لصدق النبى ﷺ فتعساً لمن لا يعتبر .

ـ ٢٠ ـ

تحقق وعد الله عز وجل للنبي ﷺ بالنصر والتمكين

قال تعالى :

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا - الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

ولم تمض على هذه البشرى أيام طويلة حتى وجد المسلمون الجزيزة العربية كلها تحتد أقدامهم فقد انتصرت أقلية ضئيلة لا تملك الخيول ولا الأسلحة على أعداء يملكون الجيوش وعلت كلمته فى زمن الصحابة ومن

---

(١) سورة المجادلة آية (٢١) .

(٢) سورة الصف آية (٨) .

بعدهم وذلت لهم أكثر البلاد ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وصار الناس إما مؤمن داخل فى الدين أو مهادن باذل الطاعة والمال أو محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله .

ـ ٢١ ـ

تحقق وعد الله عز وجل للمؤمنين بالإستغناء بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب وغيرهم

قال تعالى :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (١) .

وهكذا وقع ، عوضهم الله عما كان يفد إليهم مع حجاج المشركين بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب وغيرهم وضرب الجزية عليهم وسلب أموال من قتل منهم على كفره كما وقع بكفار أهل الشام من الروم ومجوس الفرس بالعراق وغيرها من البلدان التى انتشر الإسلام على أرجائها حتى أتى على المسلمين يوم يخرج أحدهم بالصدقة فلا يجد محتاجاً يقبلها .

ـ ٢٢ ـ

تحقق وعد الله عز وجل بإيمان الناس ـ إلا من شاء له الضلالة ـ بما أظهر من الآيات على إثبات الرسالة

قال تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة التوبة آية (٢٨) .

(٢) سورة فصلت آية (٥٣) .

وكذلك وقع ، أظهر الله من آياته ودلائله فى أنفس البشر وفى الآفاق بما أوقعه من البأس بأعداء النبوة ومخالفى الشرع ممن كذب به من أهل الكتاب والمشركين والمجوس وما تبين من الآيات العلمية الكثيرة المبثوثة فى القرآن والسنة ما دل ذوى البصائر والنهى على أن محمداً رسول الله حقاً وأن ما جاء به الوحى عن الله عز وجل صدق .

الآيات الكونية فى القرآن
والتى تصدقها الأبحاث العلمية الحديثة
تجزم بأن هذا الكتاب المقدس
موحى من عند الله عز وجل

وأما الأمر الثانى الذى ستحيل الوصول إليه عن طريق الذكاء الفطرى والبصيرة النافذة فهو الأمور العلمية المبثوثة فى القرآن الكريم والتى تبرز صدق هذا الكتاب المقدس وتجزم بشكل تام أنه موحى من عند الله عز وجل ، وعلى الرغم من نزول القرآن قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة ، فإن أحداً لم يتمكن من إثبات أية أخطاء علمية فيه ، ولو أنه كان كلاماً بشرياً لكان هذا ضرباً من المستحيل خاصة وأن أفكار الناس فى زمن محمد ﷺ عن الكون وفروع العلوم الأخرى ستبدو لغوا باطلا لو درسناها فى ضوء معلومات العصر الحاضر .

* * *

- ٢٣ -

إخباره عز وجل أن الكون كان منضماً متماسكاً ثم بدأ يتمدد فى الفضاء

قال تعالى :

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا [١] فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [٢]

فالكون بناء على تفسير هذه الآيات كان منضماً ومتماسكاً ثم بدأ يتمدد فى الفضاء وهذه هى النظرية العلمية الحديثة عن الكون فقد توصل العلماء خلال أبحاثهم ومشاهدتهم لمظاهر الكون إلى أن « المادة » كانت جامدة وساكنة فى أول الأمر وكانت فى صورة غاز ساخن متماسك وقد حدث انفجار شديد فى هذه المادة قبل ٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة على الأقل فبدأت المادة تتمدد وتتباعد أطرافها ونتيجة لهذا أصبح تحرك المادة أمراً حتمياً لا بد من استمراره طبقاً لقوانين الطبيعة التى تقول : إن قوة الجاذبية فى هذه الأجزاء ملحوظة [٣] ولعل فى ذلك تفسيراً لآية كونية وهى قوله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [٤] .

أى أن الله عز وجل جعل السماء واسعة ، أو أنه يوسع ويزيد فيها والله أعلم .

* * *

(١) الرتق : المنضم الأجزاء .
(٢) سورة الأنبياء آية (٣٠) .
(٣) الإسلام يتحدى : ٢١٤ .
(٤) سورة الذاريات آية (٤٧) .

ـ ٢٤ ـ

إخباره عز وجل أن كلاً من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً سريعاً

قال تعالى :

﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ (١) أى أن كلا من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً سريعاً أى يعقبه دون فاصل . وتحوى هذه الآية الكريمة إشارة رائعة إلى دوران الأرض محورياً وهو الدوران الذى يعتبر سبب مجىء الليل والنهار طبقاً لمعلوماتنا الحديثة ، كذلك قال تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ (٢) ، وقال تعالى أيضاً : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ (٣) ، وقال عز وجل أيضاً : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٤) .

قال رجل الفضاء الروسى « جاجارين » بعد دورانه فى الفضاء حول الأرض : إنه شاهد تعاقباً سريعاً rapid succesion للظلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحورى حول الأرض (٥) .

* * *

(١) سورة الأعراف آية (٥٤) .

(٢) سورة الزمر آية (٥) .

(٣) سورة الحديد آية (٦) وفاطر آية (١٣) .

(٤) سورة الأنبياء آية (٣٣) .

(٥) الإســــلام يتحدى : ٢١٣ .

- ٢٥ -

اخباره عز وجل أنه رفع السموات بعمد غير مرئية
- الجاذبية -

قـال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (١) .

وهذه الآية مطابقة لما كان يراه الرجل القديم فإنه كان يشاهد عالماً كبيراً قائماً بذاته فى الفضاء مكوناً من الشمس والقمر والنجوم ولكنه لم ير لها أية ساريات أو أعمدة والرجل الحديث يجد فى هذه الآية تفسيراً لمشاهدته التى تثبت أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد فى الفضاء اللانهائى ، بيد أن هنالك « عمداً غير مرئية » تتمثل فى قانون « الجاذبية » وهى التى تساعد كل هذه الأجرام على البقاء فى أمكنتها المحددة (٢) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآية : وقوله ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد أنهم قالوا : لها عمد ولكن لا ترى (٣). فانظر إلى اتفاق ذلك التفسير القديم مع ما أثبتته الكشوف العلمية الحديثة .

* * *

---

(١) سورة الرعد آية (٢) .

(٢) الإسلام يتحدى : ٢١٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ، سورة الرعد آية ٢ .

- ٢٦ -

إخباره عز وجل أن الضغط الجوى يقل بالارتفاع عن سطح الأرض

قال تعالى :

﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[1]

.والذى نعلمه اليوم أن غاز « الأوكسجين » الضرورى للتنفس والهواء الجوى عموماً يقل كلما ارتفعنا عن سطح الأرض والذلك يشعر الإنسان بالضيق كلما ازداد ارتفاعاً حتى يصل إلى درجة الاختناق ، وفى هذه الآية دلالة من دلائل النبوة وشهادة بأن القرآن من عند رب السموات والأرض لأن هذا العلم لم يعرفه عالم أو جاهل من ولد آدم فى زمن محمد ﷺ ولم يعرف إلا بعد صعود الإنسان فى طبقات الجو العليا فى العصر الحديث وصدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2] .

- ٢٧ -

إخباره عز وجل عن سرعة دوران الأرض

قال تعالى :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [3] .

---

(١) سورة الأنعام آية (١٢٥) .

(٢) سورة الفرقان آية (٦) .

(٣) سورة النمل آية (٨٨) .

وهذه والذى نفسى بيده من أعظم الآيات الدالةعلى صدق رسول الله ﷺ فى أن هذا الكتاب إنما هو كلام الله ليس كلام البشر ، وذلك أنه من المعلوم اليوم أن الأرض تدور حول محورها دورة كاملة كل أربع وعشرين ساعة وهذا ـ والله أعلم ـ هو الذى أشار إليه البارى سبحانه وتعالى فى الآية وذلك أن الناظر إلى الجبل القريب منه يراه ساكناً جامداً لا يتحرك أما الحقيقة التى يستطيع أن يستيقنها رجل الفضاء فهى أن هذه الجبال وإن كانت فيما يرى الناظر ساكنة جامدة فإنها كما يرى هو من عل تمر مر السحاب ، فتبارك الله الذى أحاط بكل شيء علماً ، ألا إنه حكيم عليم .

ـ ٢٨ ـ

إخباره عز وجل أن الرياح لواقح

قال تعالى :

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ (١) .

وبالأمس كان الإنسان القديم يرى السحب تتكاثر ثم تمطر السماء ، أما اليوم فمن المعلوم أن تكاثف بخار الماء على شكل قطرات مطر لا يحدث حتى ولو بلغت نسبة الرطوبة فى الكتلة الهوائية ٤٠٠ ٪ بدون توفر ذرات ملحية أو ثلجية بالغة الصغر وأن الرياح هى التى تقوم بنقل هذه الذرات حتى إذا التقت بإذن الله بكتلة هوائية رطبة بدأ التكاثف ثم يهطل المطر ، كذلك تقوم الرياح ببناء السحابة الرعدية حيث تنقل الهواء الدافىء الشديد الرطوبة من الطبقة الملامسة لسطح الأرض إلى طبقات الجو العليا الشديدة البرودة فيتكاثف ما به من بخار ماء وتتطور السحابة الرعدية ثم يهطل المطر بإذنه تعالى ، كذلك تقوم الرياح بنقل حبوب اللقاح من الزهور المذكرة

---

(١) سورة الحجر آية (٢٢) .

إلى الزهور المؤنثة فتحدث الثمرة بإذنه تعالى ، وأنى لهذا العلم أن يخطر فى عقول الأميين .

- ٢٩ -

إخباره عز وجل أن الرياح مبشرات

قال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ (١) .

وهذا ما نراه اليوم بواسطة صور الأرض وما يعلوها من سحاب والتى تبثها الأقمار الصناعية يومياً ، فنرى المنخفض الجوى وما يتضمنه من السحب الثقال يتكون فوق الجزائر فى أقصى الغرب ثم يأخذ فى التقدم جهة المشرق ماراً ببقية شمال إفريقية ثم مصر فالجزيرة العربية ثم بلاد فارس معطياً هذه المناطق ما قدره الله لها من الأمطار وهكذا يسوق الله عز وجل السحاب الثقال ، وهذا ما لم يعلمه الأقدمون ، ونحن فى شرق شبه الجزيرة العربية تكون السماء خلال فصل الشتاء صافية إذا كانت الرياح شمالية غربية ، تكون ما أن يقترب من البلاد منخفض جوى حتى تتحول إلى جنوبية شرقية تتلبد معها السماء بالسحب ثم يهطل المطر وهذه الرياح هى المبشرة به فسبحان الله الذى أحاط بكل شىء علماً .

* * *

(١) سورة الأعراف آية (٥٧) .

- ٣٠ -

إخباره عز وجل أن السماء سقف محفوظ

قال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [١] .

ويحدثنا العلماء اليوم بأن الهواء المتراكم فوق الأرض لو كان أقل ارتفاعاً مما هو عليه فإن بعض الشهب التى تحترق بالملايين كل يوم فى الهواء الخارجى كانت تضرب فى جميع أجزاء الكرة الأرضية وكان فى إمكانها أن تشعل كل شيء قابل للاحتراق ولما كانت السماء سقفاً منيعاً يحفظ الأرض وما فيها من هذه الشهب .

- ٣١ -

إخباره عز وجل أن المسافات بين النجوم عظيمة

قال تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [٢] .

والإنسان القديم كان يرى القبة السماوية وما فيها من نجوم متراصة كأنها المصابيح ولكن لم يكن يعلم البعد بين كل نجم وآخر وكم يبلغ حجم هذا الكون ، إنه بكل تأكيد لم يدر بخلده أن المسافات بين النجوم ـ كما يحدثنا علماء الفلك ـ تبلغ حد الخيال وهى جديرة بأن يقسم بها الخالق لعظمها فإن مجموعات النجوم التى تكون أقرب مجرات السماء منا تبعد عنا بنحو ٧٠٠,٠٠٠سنة ضوئية ، والسنة الضوئية عشرة ملايين

(١) سورة الأنبياء آية (٣٢) .

(٢) سورة الواقعة آية (٧٥)

الملايين من الكيلومترات [1] .

قال أبو الحسن الماوردى رحمه الله فى أعلام النبوة : فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها صح أن يكون كل واحد منها معجزاً فإذا جمع القرآن سائرها كان إعجازه أقهر وحجاجة أظهر وصار كفلق البحر وإحياء الموتى[2] .

قلت : بل هو أعظم من ذلك وأبهر فهو معجزة باقية إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم فى حين ذهبت معجزات الرسل الأولين وماتت بموتهم .

معجزات النبي ﷺ الحسية

المعجزة فى حقيقتها هى الحادثة الخارقة للعادة والقوانين التى يلاحظها الناس وتسير عليها حوادث الكون يجريها الله تبارك وتعالى تأييداً لأنبيائه ورسله وحجة على قومهم وذلك من تمام عدله سبحانه وعظيم فضله على الناس وقد أيد الله عز وجل نبيه ﷺ بمعجزات جسيمة وخوارق عظيمة أبصرها ونقلها الكثير من الصحابة رضى الله عنهم وإليك بعضاً منها :

- ٣٢ -

إنشقاق القمر بمكة

قال تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥ ﴾ [3] .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم : ١٦٤ .

(٢) أعلام النبوة : ٧٣ .

(٣) سورة القمر الآيات من (١ : ٥) .

وقد اتفق العلماء على أن إنشقاق القمر حدث فى عهد رسول الله ﷺ وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عن الأمة ومن ذلك ما رواه البخارى فى الصحيح عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم إنشقاق القمر (١) .

وروى البخارى فى الصحيح أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين : فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا » (٢) .

ـ ٣٣ ـ

نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ

روى البخارى فى الحديث الصحيح عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة (٣) فتوضأ ، فجهش (٤) الناس نحوه فقال : « مالكم ؟ » قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يديه فى الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة (٥) .

* * *

---

(١) الفتح ٤٤٤/٧ .
(٢) الفتح ٢٤٠/١٠ .
(٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .
(٤) أى أسرعوا نحوه .
(٥) الفتح ٣٩٨/٧ .

- ٣٤ -

هطول المطر فور استسقائه ﷺ

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أصابت الناس سنة [١] على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابى فقال : يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه وما فى السماء من قزعة [٢] قال : فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ، قال : فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذى يليه إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابى أو رجل غيره فقال : يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : « **اللهم حوالينا ولا علينا** » قال : فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة فى مثل الجوبة [٣] حتى سال الوادى وادى قناة شهراً قال : فلم يجىء أحد من ناحية إلا حدث بالجود [٤] .

- ٣٥ -

تسبيح الطعام وهو يؤكل

روى البخارى فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله فى سفر فقل الماء فقال : « **اطلبوا فضلة من ماء** » فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل

---

(١) أى قحط .

(٢) أى قطعة رقيقة من السحاب .

(٣) أى الفرجة المستديرة الواسعة والسحاب محيطاً بآفاق المدينة .

(٤) الفتح : ٣ / ١٧٣ ومسلم : ٦ / ١٩٤ .

يده فى الإناء ثم قال : « حى على الطهور المبارك والبركة من الله » فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[1] .

ـ ٣٦ ـ

البركة فى الطعام فى غزوة تبوك

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أو أبى سعيد رضى الله عنه (شك الأعمش) قال : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، قالوا : يارسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا [2] فأكلنا وادهنا ، فقال رسول الله ﷺ : « افعلوا » قال : فجاء عمر فقال : يارسول الله إن فعلت قل الظهر [3] ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك ، فقال رسول الله ﷺ « نعم » قال : فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم قال : فجعل الرجل يجىء بكف ذرة قال : ويجىء الآخر بكف تمر ، قال : ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شىء يسير ، قال : فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال : «خذوا فى أوعيتكم » قال : فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه ، قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: « أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » [4] .

* * *

(١) الفتح : ٤٠٣/٧ .
(٢) أى الإبل التى يستقى عليها .
(٣) أى الدواب .
(٤) مسلم : ٢٢٦/١ .

- ٣٧ -

البركة فى الطعام فى غزوة الخندق

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً [١] فانكفأت إلى امرأتى فقلت : هل عندك شىء ؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة ، قال : فذبحتها وطحنت ففرغت إلى فراغى فقطعتها فى برمتها [٢] ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت لا تفضحنى برسول الله ﷺ ومن معه ، قال فجئته فساررته فقلت : يارسول الله إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت فى نفر معك ، فصاح رسول الله ﷺ وقال : « **ياأهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سؤراً [٣] فحى هلا بكم** » وقال رسول الله ﷺ « **لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجىء** » فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقال : بك وبك [٤] فقلت : قد فعلت الذى قلت لى ، فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال : « ادعى خابزة فلتخبز معك واقدحى [٥] من برمتكم ولا تنزلوها » وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط [٦] كما هى وإن عجينتنا لتخبز كما هى [٧] .

---

(١) أى ضمور فى البطن من الجوع .
(٢) أى فى قدرها .
(٣) أى وليمة .
(٤) أى ذمته وانتقصته لأنه أتى بالناس كلهم فخافت نقص الطعام .
(٥) أى اغرفى .
(٦) أى تغلى ويسمع غليانها .
(٧) الفتح ٤٠٢/٨ ومسلم ٢١٧/١٣ .

- ٣٨ -

حنين جذع النخلة

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ألا أجعل شيئاً تقعد عليه ؟ فإن لى غلاماً نجاراً ، قال : « **إن شئت** » فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة قعد النبى ﷺ على المنبر الذى صنع فصاحت النخلة التى كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبى ﷺ حتى أخذها فضمها إليه ، فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت قال : « **بكت على ما كانت تسمع من الذكر** » رواه البخارى [١] .

- ٣٩ -

حادثة سراقة بن مالك

روى البخارى فى الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه من حديث طويل عن هجرة رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه وكيف تبعهما سراقة بن مالك ، قال : فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال : يارسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبى الله ﷺ فقال : « **اللهم اصرعه** » فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم [٢] فقال : يانبى الله مرنى بم شئت ، قال : « **فقف مكانك لاتتركن أحداً يلحق بنا** » قال : فكان أول النهار جاهداً على نبى الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له [٣] ، وفى رواية من حديث للبراء بن عازب رضى الله عنهما قال أبو بكر :

---

(١) الفتح ٢٢٢/٥ .

(٢) الحمحمة : صوت الفرس دون الصهيل .

(٣) الفتح ٢٥٢/٨ .

فارتحلنا بعدما زالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك ، قال ونحن فى جلد [١] من الأرض فقلت : يارسول الله أتينا ، فقال « **لا تحزن إن الله معنا** » فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها [٢] أرى ، فقال : إنى قد علمت أنكما قد دعوتما على فادعوا لى فالله لكما أن أرد عنكما الطلب فدعا الله فنجا ، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال قد كفيتكم ما ههنا ، فلا يلقى أحداً إلا رده ، قال ووفى لنا [٣] .

– ٤٠ –

انقياد الشجرة بأمره ﷺ

روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح [٤] فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فاتبعته بإدواة [٥] من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطىء الوادى فانطلق ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « انقادى على بإذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش [٦] الذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال « انقادى على بإذن الله » فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم [٧] بينهما. فقال : « التئما على بإذن الله » فالتأمتا [٨] .

---

(١) أى فى أرض صلبة .
(٢) أى غاصت قوائمها فى تلك الأرض الصلبة .
(٣) الفتح ٤٣٦/٧ .
(٤) أى واسعاً .
(٥) أى إناء صغير من جلد يتخذ للماء .
(٦) هو الذى يجعل فى أنفه خشاش وهو عود يجعل فى أنف البعير إذا كان صعباً ويشد فيه حبل ليذل وينقاد وقد يتمانع لصعوبته فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئاً فشيئاً .
(٧) يعنى جمع بينهما .
(٨) مسلم : ١٨ / ١٤٣ .

- ٤١ -

ذعر أبو جهل

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟. قال : قيل : نعم ، فقال : واللات والعزى لإن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه فى التراب ، قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ، زعم ليطأ على رقبته قال : فما قرب منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه قال : فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بينى وبينه لخندقاً من نار وهولا وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » (١) .

- ٤٢ -

إلقاء النعاس على المؤمنين فى غزوتى بدر وأحد أماناً واطمئناناً

قال تعالى فى شأن غزوة بدر :

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٢) .

وقال تعالى فى شأن غزوة أحد :

---

(١) مسلم ١٤/١٧ .

(٢) سورة الأنفال آية (١١) .

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم – إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (١) .

وروى البخارى فى الصحيح عن أبى طلحة رضى الله عنهما قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى مراراً يسقط وآخذه ويسقط فآخذه (٢).

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس رضى الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبى ﷺ ، وأبو طلحة بين يدى النبى ﷺ مجوب (٣) عليه بجحفة (٤)، قال : وكان أبو طلحة رجلا رامياً شديد النزع (٥) وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، قال فكان الرجل يمر ومعه الجعبة (٦) من النبل فيقول : « انثرها لأبى طلحة » ، قال : ويشرف نبى الله ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة : يانبى الله بأبى أنت وأمى لاتشرف لايصبك سهم من سهام القوم ، نحرى نحرك ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم (٧) سوقهما تنقلان القرب على متونها ثم تفرغانه فى أفواههم فى ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه فى أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدى أبى طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً من النعاس (٨) .

فهل سمعت ياعبدالله فى الدهر عن رجال يرون الموت ما من شىء أقرب

---

(١) سورة آل عمران آية (١٥٤) وتمامها قال تعالى ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شىء قل إن الأمر كله لله ﴾ .

(٢) الفتح ٣٦٧/٨ .

(٣) مجوب : أى مترس ويُقال للترس أيضاً : جوبه .

(٤) الجحفة : هى الترس .

(٥) النزع : أى رمى السهم .

(٦) الجعبة : هى الألة التى توضع فيها السهام .

(٧) الخدم : هى الخلاخيل .

(٨) الفتح :٣٦٥/٨ ، ومسلم : ١٨٩/١٢ .

إليهم منه والسهام تترامى عليهم من كل مكان والعدو يمعن فيهم ضرباً وطعناً حتى فر رجال من الصالحين من هول ذلك اليوم العبوس ثم بالرغم من ذلك يغشى من ثبت منهم النعاس حتى يسقط السيف من أحدهم المرة تلو المرة ؟ .

أنا لا أعرف شيئاً مثل هذا إلا أن يكون من عند خالق العباد المتصرف بهم ، إنما الذى أعلمه أن الرجل المنهك المتعب الذى لاشىء أحب إليه فى تلك الساعة من النوم إذا أصيب بمصيبة أو أخبر عن فاجعة وقعت فإن النوم يفر من أجفانه أياماً ولو طلبه ماقدر عليه ، ولو كان جميع ما حوله ساكناً يدعو إلى النوم ويعين عليه .

إخباره ﷺ عن غيوب مستقبله فوقعت طبق ما أخبر سواء بسواء

ـ ٤٣ ـ

إخباره ﷺ بكل شئ يكون إلى قيام الساعة

روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن حذيفة بن اليمان [١] رضى الله عنهما قال : قال فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا أتاه عرفه [٢] .

* * *

(١) هو حذيفة بن اليمان العبسى أبو عبد الله من المهاجرين صحابى مشهور وأمين سر رسول الله ﷺ فى المنافقين . توفى بعد قتل عثمان بن عفان بأربعين ليلة . انظر المشاهير ٤٣/ .

(٢) الفتح : ٢٩٧/١٤ ، ومسلم : ١٥/١٨ .

- ٤٤ -

إخباره ﷺ عن مصارع المشركين
فى بدر قبل مصرعهم

روى مسلم وأحمد ـ واللفظ له ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال وكنت حديد البصر فرأيته فجعلت أقول لعمر : أماتراه ؟ فقال : سأراه وأنا مستلق على فراشى ، ثم أخذ يحدثنا عن أهل بدر ، قال : إن كان رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس ، يقول: « **هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى ، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى** » ، قال : فجعلوا يصرعون عليها ، قلت : والذى بعثك بالحق ما أخطئوها فقد كانوا يصرعون عليها . وفى رواية مسلم قال عمر : فوالذى بعثه بالحق ما أخطئوها الحدود التى حد رسول الله ﷺ(١) .

- ٤٥ -

إخباره ﷺ عن مقتل أمراء مؤتة
قبل أن يأتى الخبر بمقتلهم

روى البخارى فى الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبىّ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذها سيف من سيوف الله ـ يعنى خالد بن الوليد رضى الله عنه ـ حتى فتح الله عليهم » (٢).

---

(١) مسلم ١٧ / ٢١٦ ، وأحمد ١ / ٢٦ .
(٢) الفتح : ٩ / ٥٤ .

- ٤٦ -

إخباره ﷺ عن كتاب حاطب الذى بعثه إلى مكة

روى البخارى ومسلم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : « ائتوا روضة خاخ [١] فإن بها ظعينة [٢] معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادى [٣] بنا خيلنا فإذا نحن بالمرأة فقلنا : أخرجى الكتاب ، فقالت : ما معى كتاب . فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها [٤] فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة ، يخبرهم بعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **يا حاطب ؟ ما هذا ؟** » قال : لا تعجل على يارسول الله ، إنى كنت امرأ ملصقاً فى قريش (قال سفيان : كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها) وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذا فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتى ، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال النبى ﷺ : « صدق» فقال عمر : دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال : « أنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » [٥] .

* * *

---

(١) روضة خاخ بين مكة والمدينة وهى إلى المدينة أقرب .

(٢) الظعينة هى الجارية ، وأصلها الهودج وسميت به الجارية لأنها تكون فيه .

(٣) تعادى : أى تجرى .

(٤) عقاصها : أى شعرها المضفر ، جمع عقيصة .

(٥) الفتح ،مسلم : ١٩٤١ .

الإخبار عن فتح خيبر من الغد
وشفاء عينى على بدعوته ﷺ

روى البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية لرجل يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » قال : فبات الناس يدوكون [١] ليلتهم أيهم يعطاها ، قال : فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها فقال : « **أين على بن أبى طالب ؟** » فقالوا هو يارسول الله يشتكى عينيه [٢] قال : فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا فبرأ حتى لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال على : يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال : « **انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حُمر النعم** » [٣] .

وفى الحديث معجزتين ظاهرتين للنبى ﷺ الأولى إخباره بأن الله عز وجل يفتح على يديه فكان كما أخبر ، والثانية بصاقة فى عينيه ودعائه له فبرأ فى الحال .

* * *

(١) يدوكون : أى يخوضون ويتحدثون فى ذلك .

(٢) وجاء فى حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن علياً كان قد تخلف عن النبى ﷺ فى خيبر وكان رمداً فقال : أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ؟ فخرج على فلحق بالنبى ﷺ .

(٣) الفتح ٨ / ٧٢ ومسلم ١٥ / ١٧٨ .

- ٤٨ -

إخباره ﷺ عن رجل يقاتل معه أنه من أهل النار فكان كذلك

روى البخارى فى الصحيح عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : التقى النبى ﷺ والمشركون فى بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال كل قوم إلى معسكرهم وفى المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة[١] إلا أتبعها فضربها بسيفه ، فقيل : يارسول الله ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان فقال : « **إنه من أهل النار** » فقالوا : أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار[٢] فقال رجل من القوم : لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب[٣] سيفه بالأرض وذبابه[٤] بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فجاء الرجل إلى النبى ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله ، فقال : « **وما ذاك** » فأخبره فقال : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة** »[٥] .

وهذا الحديث من علامات النبوة الباهرة إذ أن النبى ﷺ قد أصدر على ذلك الرجل حكماً محدداً لا تدل عليه مقدمة من المقدمات إذ أن أفعال الرجل وقت صدور الحكم أفعال صالحة ، وهكذا يظهر صدقه ﷺ فى هذه الحادثة وفى غيرها من الحوادث فى إخباره أنه رسول الله ﷺ المقدر للأقدار والمطلع على الأسرار فتعساً ثم تعساً لمن لا يعتبر .

---

(١) الشاذة والفاذة : ما انفرد عن الجماعة والمراد أنه لا يلقى شيئاً إلا قتله .

(٢) وجاء فى رواية أبى هريرة التى فى الصحيح : فكاد بعض الناس يرتاب .

(٣) نصاب السيف : أى مقبضه .

(٤) ذباب السيف : حد طرفه الذى بين شفرتيه .

(٥) الفتح ٩ / ١٣ .

- ٤٩ -

إسلام أم أبى هريرة بفضل دعوته ﷺ

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة ، فدعوتها يوماً فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى ، قلت : يارسول الله إنى كنت أدعو أى إلى الإسلام فتأبى على ، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة ، فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم اهد أم أبى هريرة** » فخرجت مستبشراً بدعوة نبى الله ﷺ ، فلما جئت فسرت إلى الباب فإذا هو مجاف [١] فسمعت أمى خشف [٢] قدمى فقالت : مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال : فاغتسلت ولبست درعها [٣] وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكى من الفرح قال : قلت يارسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً ، قال : قلت : يارسول الله ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين وأن يحببهم إلينا . قال : فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم حبب عبيدك هذا** (يعنى أبا هريرة) **وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين** » فما خلق مؤمن يسمع بى ولا يرانى إلا أحبنى [٤].

وهذا من أعلام نبوته ﷺ إذ استجاب الله عز وجل لدعوته على الفور فمن يملك ياعبد الله تصريف القلوب من اعتقاد إلى اعتقاد وتقليب الفؤاد

(١) مجاف : أى مغلق .
(٢) الخشف : أى المر السريع .
(٣) درع المرأة : أى قميصها .
(٤) مسلم ١٦ / ٥٢ .

من حال إلى حال إلا رب القلوب وخالقها ومصرفها كيفما يشاء ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على الإسلام حتى نلقاك به .

- ٥٠ -

إخباره ﷺ عن استشهاد عمر وعثمان رضى الله عنهما

روى البخارى في الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : « اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان» [1]وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبى ﷺ واستشهد عمر ثم تلاه عثمان رضى الله عنهما .

- ٥١ -

إخباره ﷺ عن استشهاد على رضى الله عنه

عن عمار بن ياسر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أحدثكم بأشقى الناس رجلين ؟ أحيمر ثمود الذى عقر الناقة ، والذى يضربك ياعلى على هذه [2] حتى يبل منك هذه [3]رواه الطبرانى والحاكم وصححه الألبانى [4] .

وهكذا قتل على رضى الله عنه وهذه من العلامات الباهرة .

* * *

(١) الفتح ٨ / ٣٨ .
(٢) أى قرنه .
(٣) يعنى لحيته .
(٤) صحيح الجامع الصغير ٢ / ٣٥٧ .

- ٥٢ -

إخباره ﷺ عن فتح فارس وكثرة المال

روى البخارى فى الصحيح عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : بينما أنا عند النبى ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة [(١)] ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال : « ياعدى هل رأيت الحيرة ؟» قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها قال : « فإن طالت بك حياة لترين الظعينة [(٢)] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله » قلت فيما بينى وبين نفسى :

فأين دعار طيء [(٣)] الذين سعروا [(٤)] البلاد؟ « ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى » قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : « **كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقول : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم** » قال عدى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة** » قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبى أبو القاسم ﷺ : الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه [(٥)] .

---

(١) أى الفقر والحاجة .

(٢) أى المرأة فى الهودج .

(٣) الداعر : هو الخبيث المفسد .

(٤) أى ملئوا الأرض شراً وفساداً .

(٥) الفتح ٧ / ٤٢٤ .

- ٥٣ -

إخباره ﷺ عن فتح الشام ومصر

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله** » (١) .

قال الشافعى (٢) وسائر العلماء : معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان فى زمنه ﷺ فكان كذلك فأما كسرى فانقطع ملكه وزال تماماً من جميع الأرض وأما قيصر فقد انهزم من الشام ودخل أقاصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما واستقرت للمسلمين وأنفق المسلمون كنوزهما فى سبيل الله كما أخبر ﷺ وهذه من المعجزات الظاهرة والعلامات الباهرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

- ٥٤ -

إخباره ﷺ عن قدوم أويس القرنى وصفته

روى مسلم فى صحيحه عن أسير بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن (وهم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام فى الغزو واحدهم مدد) سألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس فقال : أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال:

---

(١) الفتح ٧ / ٤٣٨ ومسلم ١٨ / ٤٢ .

(٢) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى المطلبى وكنيته أبو عبد الله المعروف بالإمام الشافعى وإليه ينسب المذهب. ولد سنة ١٥٠ هـ . توفى سنة ٢٠٤ هـ . له مصنفات منها كتاب الام والمسند وديوان فى الشعر .

من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم ، قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم ، قال : هل لك والدة ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، وله والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل** » فاستغفر لي فاستغفر له [1] .

وهذه القصة من المعجزات الظاهرة فتعساً والله لمن لا يعتبر .

- ٥٥ -

إخباره ﷺ عن إصلاح الحسن رضى الله عنه بين الفئتين

روى البخارى فى صحيحه عن أبى بكر رضى الله عنه قال : أخرج النبى ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال : « **ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين** » [2] .

قال ابن كثير : وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبى ﷺ سواء بسواء فإن الحسن بن على رضى الله عنهما لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب فى جيوش أهل العراق وسار إليه معاوية فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصرى [3] رحمه الله فمال الحسن بن على إلى الصلح وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية وذلك سنة ٤٠ من الهجرة فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة فسمى ذلك العام عام الجماعة

(١) مسلم ١٦ / ٩٥ .

(٢) الفتح ٧ / ٤٤١ .

(٣) الحسن البصرى : هو الحسن بن أبى الحسن اسم أبيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصارى أبو سعيد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب من عباد البصرة وزهادهم . مات سنة ١١٠ هـ وله تسع وثمانين سنة . انظر المشاهير /٨٨ .

لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد ، وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام . فمن كفرهم أو واحداً منهم لمجرد ما وقع فقد باء بالكفر وخالف النص النبوى الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى فاعلم ذلك يا عبد الله فإنه مزلة قدم .

ـ ٥٦ ـ

إخباره ﷺ عن استشهاد الحسين رضى الله عنه

روى أحمد عن عائشة أو أم سلمة أن النبى ﷺ قال لإحداهما : « **لقد دخل على البيت ملك لم يدخل على قبلها فقال لى : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها** » قال : « **فأخرج لى تربة حمراء** »[١] قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح[٢] وقال الألبانى : إسناده صحيح على شرط الشيخين[٣] .

وهكذا وقع الأمر كما أخبر النبى ﷺ وروى أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : رأيت النبى ﷺ فى المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئاً قال : قلت : يارسول الله ما هذا؟ قال : « **دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم** » قال عمار بن أبى عمار : فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم[٤] . قال الألبانى : إسناده صحيح[٥] .

* * *

---

(١) المسند ٦ / ٢٩٤ .
(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٨٧ .
(٣) الأحاديث الصحيحة ٢ / ٤٨٥ .
(٤) المسند ١ / ٢٤٢ .
(٥) المشكاة ٣ / ٢٦٥ .

- ٥٧ -

إخباره ﷺ عن فتح القسطنطينية ورومية (روما)

روى أحمد فى مسنده عن أبى قبيل قال : كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص وسئل أى المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج منه كتاباً ، قال : فقال عبدالله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أى المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **مدينة هرقل تفتح أولاً** » يعنى القسطنطينية [1]، والحديث صححه الحاكم [2] والذهبى [3] ووافقهما الألبانى [4] .

وقد وقع الأمر الأول كما أخبر به النبى ﷺ فتحقق فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح العثمانى رحمه الله كما هو معروف وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبى ﷺ بالفتح ، وسيتحقق الفتح الثانى بإذن الله تعالى ولا بد فاسأل الله عز وجل أن يجعلك مع من يفتحها إنه هو السميع المجيب ..

* * *

(١) المسند ٢ / ١٧٦ .

(٢) المستدرك ٤ / ٥٠٨ .

(٣) الذهبى : هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى الأصل ثم الدمشقى الشافعى ، محدث ، مؤرخ . ولد بدمشق وسمع بحلب وبنابلس وبمكة صاحب تاريخ الاسلام وميزان الاعتدال وطبقات الحفاظ وغيرها . توفى سنة ٧٤٨ هـ . انظر طبقات السبكى ٥/٢١٦ ، الدرر الكامنة ٣/٣٣٧ .

(٤) الأحاديث الصحيحة ١ / ٨ .

- ٥٨ -

إخباره ﷺ عن وفاته فى مرضه الأخير وأن ابنته فاطمة عليها السلام أول من تلحق به من أهله

روى البخارى فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دعا النبى ﷺ فاطمة ابنته فى شكواه التى قبض فيها فسارها بشىء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت قالت : فسألتها عن ذلك فقالت : سارنى النبى ﷺ فأخبرنى أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه فبكيت ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهل بيته اتبعه فضحكت [١] .

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ، انتقل إلى الرفيق الأعلى فى مرضه ذاك وتبعته إلى رضوان الله ورحمته ابنته فاطمة الزهراء وكانت أول من مات من أهل بيت النبى ﷺ بعده حتى من أزواجه .

- ٥٩ -

إخباره ﷺ أن أحد جناحى الذباب داء والآخر شفاء فكان كما أخبر

روى البخارى فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء** » [٢] .

وروى الحديث أيضاً أبو سعيد الخدرى وأنس بن مالك رضى الله عنهما بأسانيد صحيحة عند أحمد وابن ماجة والطبرانى وهذا الحديث يزيد النفوس

---

(١) الفتح ٧ / ٤٤٠ .

(٢) الفتح ٧ / ٤٣٧ ومسلم ١٧ / ١٢٧ .

أن الذباب فضلا عن حمله الداء فإنه يحمل أيضاً الدواء وهذا من العلم الذى لم يثبت إلا قبل سنوات قليلة وتتلخص المسألة فى أن الذباب عندما يقع على المواد القذرة فإنه يتغذى ببعضها وينقل بأطرافه بعضاً منها فيتكون فى جسمه مناعة ضد هذه الجراثيم التى ينقلها فلا تضره ، وهذه المناعة تشبه ما يسمى بالعقاقير المضادة للحيوية والتى تشتهر بقضائها على الكثير من الجراثيم وعلى ذلك فإنه عند وقوع الذبابة فى الشراب فإنه يتلوث بالجراثيم العالقة بأطراف الذبابة فإذا ما غمست كلها فإنها تفرز المواد المضادة لهذه الجراثيم فتقتلها . وهذا من علامات النبوة الباهرة فتعساً لمن تعميه المكابرة عن الإعتبار والحمد لله الواحد القهار .

- ٦٠ -

خبر الذى تنصر وكذب على النبى ﷺ فلفظه قبره

روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب قال : فرفعوه ، قالوا هذا الذى كان يكتب لمحمد فأعجبوا به فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً [١] .

ولا أدرى هل سجل هذه الحادثة علماء أهل الكتاب فى أسفارهم أم أنهم تواصوا على كتمانها كما هى عادتهم فى كتمان البينات والهدى عن أتباعهم فالله المستعان .

---

(١) الفتح ٧ / ٤٣٧ ومسلم ١٧ / ١٢٧ .

إخباره ﷺ عن أحوال الأمة السياسية من بعده فكان كما أخبر

روى أحمد في مسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على مناهج النبوة ثم سكت** »[1] وقد كان الأمر من بعده ﷺ كما أخبر .

وقد فسر بعض الصالحين الملك العاض بالخلافات الأموية والعباسية وما والاها والملك الجبرية بالإنقلابات العسكرية الحديثة وإن صح حدثهم فنحن إن شاء الله تعالى على أبواب ظهور الخلافة الراشدة التى تملأ الأرض قسطاً وعدلا بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، فليت شعرى هل ندرك ذلك اليوم ؟ .

شهادة طائفة من المستشرقين والنصارى المنصفين

تعرض رسول الله ﷺ لأذى أهل الكتاب فى حياته حتى مات مسموماً بشاة اليهودية[2] ، ولم يسلم عليه الصلاة والسلام من أذاهم بعد مماته فذهبوا وقد أعماهم الحقد الأسود يزعمون أنه كان رئيساً لقطاع الطرق وأنه كان متهالكاً على اللهو وأنه كان ساحراً وأنه كان مصاباً بالصرع وأنه كان

---

(١) المسند ٤ / ٢٧٣ .

(٢) وذلك بعد مده من تناولها .

قساً رومانياً غضب لأنه لم ينتخب لكرسى البابوية فذهب يدعو الناس إلى دين زعمه زعماً وأنه مات فى نوبة سكر وأن جسده وجد ملقى على كوم من الروث وقد أكلت منه الخنازير [1] .

ولا يستغرب هذا من حفدة القردة والخنازير ، فكم قد أذوا الأنبياء من قبل فقتلوا فريقاً منهم وكذبوا بالفريق الآخر وكم قد اتهموهم وكم قد قالوا فيهم قولا عظيماً ؟.

ألم يقولوا عن إبراهيم خليل الله أنه كذاب ؟.

ألم يتهموا لوطاً عليه السلام بأنه زنى بابنته ؟.

ألم يتهموا هارون عليه السلام بأنه دعاهم إلى عبادة العجل ؟.

ألم يتهموا داود عليه السلام بأنه زنى بزوجه أوريا؟.

ألم يتهموا سليمان عليه السلام بأنه عبد الأصنام إرضاء لزوجته ؟ .

ألم يتهموا عيسى عليه السلام بأنه ابن زنا ؟ .

فمن كانت هذه حاله مع أنبيائه ، فكيف بحاله مع محمد ﷺ الذى قال لهم : « **والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » [2] .

ومع كل هذا فإن الله تبارك وتعالى يخرج بين يوم وآخر من بين ظهرانى هؤلاءالهلكى المقلدين لآبائهم فى العمى من ظلمات هذا التقليد الأعمى فينقب ويمحص ويقلب فلا يلبث الحق أن يبرز أمامه مضيئاً وهاجاً مبدداً لجميع الشكوك التى تلقفها من الآباء والكهنة والقساوسة فلا يجد عندها

---

(١) راجع حياة محمد ص ٩ - ١١ .
(٢) مسلم ٢ / ١٨٦ .

من كلام يلفظه إلا التسبيح بحمد الذى غلبت مشيئته المشيئات كلها فأنقذه من الكفر وهداه للإسلام .

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله : درس علماء الإفرنج تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده على طريقتهم فى النقد والتحليل ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلوها فلياً ونقشوها بالمناقيش وقرؤا القرآن بلغته وقرأوا ما ترجمه به أقوامهم وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد[1] وتاريخ الأديان ولا سيما الديانتين اليهودية والنصرانية وبما كتبه المتعصبون للكنيسة من الإفتراء على الإسلام والنبى والقرآن فخرجوا من هذه الدروس بالنتيجة الآتية :

(إن محمداً كان سليم الفطرة ، كامل العقل ، كريم الأخلاق ، صادق الحديث ، عفيف النفس ، قنوعاً بالقليل من الرزق ، غير طموع بالمال ، ولا جنوح إلى الملك ، ولم يعن بما كان يعنى به قومه من الفخر والمباراة فى تحبير الخطب ولا قرض الشعر ، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية ، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية كالخمر والميسر وأكل أموال الناس بالباطل ، وبهذا كله وبما ثبت من سيرته ويقينه بعد النبوة جزموا بأنه كان صادقاً فيما ادعاه بعد استكماله الأربعين من سنه من رؤية ملك الوحى ، وأقرائه إياه هذا القرآن وإنبائه بأنه رسول الله لهداية قومه فسائر الناس) .

وزادهم ثقة بصدقه أنه كان أول الناس إيماناً به واهتداءً بنبوته أعلمهم بدخيله أمره وأولهم زوجه خديجة المشهورة بالعقل والنبل والفضيلة ومولاه زيد بن حارثة الذى اختار أن يكون عبداً له على أن يلحق بوالده وأهل بيته ويكون معهم حراً ، ثم أن كان الذين آمنوا به من أعظم العرب حرية واستقلالا فى الرأى ولا سيما أبو بكر وعمر[2] .

---

(١) يقصد بالعهدين القديم والجديد التوراة والانجيل .

(٢) الوحى المحمدى ص٨٤ – ٨٥ .

قال إدوار مونتيه المستشرق المستقل الفكر مدرس اللغات الشرقية فى مدرسة جنيف الجامعة فى مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن : (كان محمد نبياً صادقاً كما كان أنبياء بنى إسرائيل فى القديم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين فى أولئك الأنبياء أسلافه) [١] .

وقال البروفسور بوسورث سميث : (عندما ألقى نظرة إجمالية استعرض فيها صفاته وبطولاته ، ما كان منها فى بدء نبوته ، وما حدث فيما بعد وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة ، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا ، أجده أقدس الناس وأعلاهم مرتبة حتى أن الانسانية لم تعرف له مثيلاً) [٢] فما أصدق ما قال .

وقال الدكتور ليتز : إننى لأجرؤ ، بكل أدب أن أقول : إن الله الذى هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها لو كان يوحى إلى عباده فدين محمد هو دين الوحى ، ولو كانت آيات الإيثار والأمانة والاعتقاد الراسخ القوى ووسائل التمييز بين الخير والشر ودفع الباطل هى الشاهدة على الإلهام ، فرسالة محمد هى هذا الإلهام) [٣] .

وقال البروفيسور ستوبارت : (إنه لا يوجد مثال واحد فى التاريخ الإنسانى بأكمله يقارب شخصية محمد ، ألا ... ما أقل ما أمتلكه من الوسائل المادية وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية فلن نجد فيه اسما منيراً هذا النور وواضحاً هذا الوضوح غير اسم النبى العربى) [٤] .

---

(١) الوحى المحمدى ص٥٩ .
(٢) الإسلام يتحدى ص١٧٩ .
(٣) المرجع السابق ص١٧٦ .
(٤) المرجع السابق ص١٩٤ .

إن هذه السيرة غير العادية وهذا الإجلال والتكريم والتقدير وهذا السجل التاريخي الممتاز لحياة محمد ﷺ قبل إعلان النبوة وبعدها ليس له مثيل فى التاريخ الإنسانى ولم يسبق أن نال مثله من ولد آدم أحد ، فلله الحمد والمنة أن جعلنا من أمته ولله الحمد والمنه أن جعلنا من أهل الكتاب والسنة يوم زاغ أكثر الناس عن سنته وسنة صحابته .

وروى العالم الهندى الدكتور عناية الله المشرقى عن الفلكى الإنجليزى المشهور السير «چيمس چينز» الذى كان إذا تحدث عن تكوين الأجرام السماوية وأبعادها وطرقها ومداراتها وجاذبيتها وطوفان أنوارها المذهلة ، تنهمر الدموع من عينيه وترتعد يداه من خشية الله فلما قرأ عليه عناية الله الآيات من سورة فاطر ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ [١] بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ [٢] ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [٣] صرخ السير چيمس قائلاً : ماذا قلت؟ (**إنما يخشى الله من عباده العلماء**) ؟ مدهش وغريب وعجيب جداً ، إنه الأمر الذى كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة ، من أنباء محمد به ؟ هل هذه الآية موجودة فى القرآن حقيقة ؟ لو كان الأمر كذلك فاكتب شهادة منى أن القرآن كتاب موحى من عند الله .

ويستطرد السير چيمس قائلاً : لقد كان محمداً أمياً ، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه ولكن الله هو الذى أخبره بهذا السر ، مدهش وغريب وعجيب جداً [٤] .

قلت : لا هو مدهش ولا غريب ولا عجيب فإن محمداً لم يأت بالقرآن

---

(١) أى طرائق .
(٢) أى جبال طوال سود .
(٣) سورة فاطر آية (٢٨) .
(٤) الإسلام يتحدى ص٢٢٨ .

من تلقاء نفسه فيعجب المرء الأمي بهذه العلوم ، ولكن المدهش والغريب والعجيب أن يستيقن العلماء أن محمداً صادق فى دعوى الرسالة ثم لا يسلمون .

وقالت الدكتورة « فاغليرى » : إن الناس فى حاجة إلى دين ولكنهم يريدون من هذا الدين فى الوقت نفسه أن يلبى حاجاتهم وأن لا يكون قريباً إلى عواطفهم فقط بل أن يقدم إليهم أيضاً الطمأنينة والسلامة فى هذه الحياة الحاضرة وفى الحياة الآخرة معاً ، والواقع أن الإسلام يفى بهذه المطالب على الوجه الأكمل لأنه ليس مجرد عقيدة ولكنه – إلى جانب ذلك أيضاً – فلسفة حياة ، إنه يعلم التفكير الصائب والعمل الصالح والكلام الصادق وهو لهذه الأسباب يتخذ سبيله إلى عقل الإنسان وقلبه فى غير عسر [1] .

وقال الأستاذ « فارس الخورى » [2] : (إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بمثله بعد ، والدين الذى جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها ، إن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذى دعا الناس إليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية [3] .

انتهى بحمد الله

---

(١) دفاع عن الإسلام ص٩٠ .

(٢) فارس الخورى وزير مسيحي سوى وقد قال هذا الكلام القيم فى حفل أُقيم بدمشق فى ربيع الأول عام ١٣٥٤ هـ لذكرى المولد النبوى .

(٣) مع الرعيل الأول ص ٢٣٨ .

المراجـــع

(١) القرآن الكريم .

(٢) أعلام النبوة لأبى الحسين على بن محمد الماوردى الشافعى . بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م .

(٣) الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألبانى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

(٤) الإسلام يتحدى - لوحيد الدين خان . بيروت ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م

(٥) السيرة النبوية لابن هشام - القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .

(٦) الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) بيروت ١٩٥٨م .

(٧) الله يتجلى فى عصر العلم - إشراف چون كلوفر مونسما - القاهرة ١٩٦٨م .

(٨) المستدرك للحاكم النيسابورى - الرياض .

(٩) الموطأ للإمام مالك - القاهرة .

(١٠) النبأ العظيم - لمحمد عبد الله دراز - بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

(١١) الوحى المحمدى - لمحمد رشيد رضا .

(١٢) إنجيل برنابا ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

(١٣) تفسير ابن كثير - بيروت - ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .

(١٤) حياة محمد لمحمد حسنين هيكل - القاهرة ١٩٦٣ م .

(١٥) دفاع عن الإسلام - للورافيشيا فاغليرى - بيروت ١٩٦٠ م .

(١٦) صحيح مسلم - شرح النووى - القاهرة .

(١٧) صحيح الجامع الصغير للسيوطى . تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

(١٨) فتح البارى بشرح البخارى - للحافظ ابن حجر العسقلانى - القاهرة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .

(١٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمى - بيروت ١٩٦٧م .

(٢٠) مسند الإمام أحمد - بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

(٢١) مشكاة المصابيح لولى الدين التبريزى - دمشق ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

(٢٢) مع الرعيل الأول - لمحب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٩٠هـ .

(٢٣) مناهل العرفان فى علوم القرآن - لمحمد عبد العظيم الزرقانى - القاهرة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م .

*****

***

*

الفهـــرس

الموضـــوع **الصفحة**

دار ابن خلدون
للنشـــر والتوزيـع
الاسكندرية ـ ت ٤٤٤١٠٦٨ ـ ٤٤٥٩٧٢٣